

للعلامة / محمد بن أحمد الحفظي بن عبد القادر البكري

تحقيق وتخريج وتعليق

أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي

مكتبة المعلا
الكويت

درجات الصاعدين

إلى مقامات الموحدين

الطبعة الأولى
١٤٠٧

درجات الصاعدين

إلى مقامات الموحدين

للعلامة / محمد بن أحمد الحفظي بن عبد القادر البكري

تحقيق وتخريج وتعليق

أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي

مكتبة المعلا

الكويت

طبعت بموافقة الإدارة العامة لشئون المصاحف
ومراقبة المطبوعات برئاسة إدارة
البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد
برقم ١٠٠٠ / ٥ في ٤ / ٨ / ١٤٠٥ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، ونوّر قلوبنا بنور الإيمان ، وغرس فيها شجرة التوحيد ، فآتت أكلها كل حين بإذن ربها ، وأثمرت ثمراً يانعاً طعم من جناه العامة والخاصة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، توحد بالألوهية والعبودية تقدست أسماؤه وصفاته عن الشرك والتشبيه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير نبي دعى إلى الهدى ، ورد الناس إلى الله بعد أن طال بهم أمد الضلال ، وعاشوا ردحاً طويلاً في ظلمة الجهل والكفر والطغيان .

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الموحدين المخلصين لله في القول والعمل .

أما بعد :

فإن هذا كتاب صغير الحجم كثير العلم ، غزير الفائدة يدعو فيه مؤلفه إلى التوحيد الخالص ، بالحجة القاطعة والبرهان الساطع ، من غير تعصب إلى مذهب ولا تقيد بنحلة من نحل أولئك الذين يسمون أنفسهم بعلماء الكلام ، إذ أخذ أدلته وبراهينه من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ، فأتى بها بيضاء ناصعة ، خالية من التأويل البعيد الذي يخضع إلى الهوى الجامح والتيار المنحرف .

وقد جاء أسلوب الكتاب سهلاً واضحاً بليغاً ، يفهمه الناس على اختلاف درجاتهم في الثقافة والفهم ، من غير تكلف ولا استغراب ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى ثمانٍ درجات .

وقد نظرت في هذه المخطوطة ، وقابلتها على نسخة أخرى ثم قمت بنسخها من جديد ، وخرّجت ما فيها من الحديث ، وفسرت بعض ما يحتاج إلى تفسير ، وترجمت لما فيها من الأعلام .

وإنني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذه الرسالة وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفق حفدة آل الحفظي إلى إخراج تراث أجدادهم وجعله بين أيدي الباحثين والمحققين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،.

الرياض ٢٠ / ٥ / ١٤٠٥ هـ

كتبه / عمر بن غرامة العمروي

منهجي في التحقيق

بعد مقابلة النسختين وتطبيقهما على بعضها ، قمت بإخراج النصوص من آيات قرآنية ، وأحاديث وآثار ، وكل ما استشهد به المؤلف رحمه الله ، وإرجاعها إلى أصولها ومراجعها ، وبيّنت غريبها بشكلٍ مختصر .

وكان المؤلف رحمه الله قد سمّاها : (درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين) وقسمها إلى ثماني درجات :

الأولى : في توحيد الألوهية . والثانية : في توحيد الربوبية .
والثالثة : في العبادة . والرابعة : في المعبود تبارك وتعالى .
والخامسة : في الدعاء . والسادسة : في أعمال الشرك .
والسابعة : في الحكم على المشركين بوجهٍ عام .
والثامنة : فيما يحل الدم والمال ويوجب القتال ، بعد قيام الحجة .

وقد جعلها رحمه الله مختصرة كما قال في آخرها ؛ (وهذه قطرة من مطرة) ، وأخبر أنه فرغ منها في شهر شوال سنة ١٢٢٢ هـ : أي قبل وفاته بخمس عشرة سنة .

ولما كمل التحقيق ، أردت زيارة مكتبة (الحَفَاظِيَة) ببلدتهم (رُجَال) ، لمعرفة نسب الشيخ ، وحياته وعلمه ، ومشائخه ، وآثاره حتى وفاته ، وبعد الزيارة وجدت عندهم ضالتي [1] وكنت قد نقلت ما يلزم عن الكتب التالية :

---

(١) اجتمعت بعدد من علمائهم ، وأدبائهم ، وطلبت منهم إخراج تراثهم الفكري ، واطلاع أرباب القلم وطلبة العلم على ما لديهم من المخطوطات ، ليسلموا كتم العلم من جهة ، ويفيدوا الناس من جهة أخرى ، ولقد لبوا دعوتي فأطلعوني على ما لديهم ، فرأيت العجب العجاب ، ولقد قدرت ما لديهم فوجدت أكثر من ألف مخطوطة لم ترى النور بعد ، في شتى العلوم ، كما وجدت لآبائهم وأجدادهم ما يربوا على أربعمائة مخطوطة . في التوحيد واللغة والفقه والأصول والتفسير وسأقوم إن شاء الله تعالى ، بإخراج ما تفضلوا به عليّ من تراث آبائهم ، وأجدادهم تحت سلسلة (من تراث المكتبة

نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر : لمحمد زباره ، ومعجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ، وديوان الروض المرضي من شعر آل الحفظي بجزئيه ، ومن رسالة ذوق الطلاب في علم الإعراب بتحقيق الدكتور / عبد الله أبو داهش .

وها أنا أخرج هذا الكتاب على الناس ، لينتفعوا به في تصحيح عقيدتهم ، وتحرير أنفسهم من كل شرك جلي أو خفي .

والله أسأل أن ينفع به من ألفه ، ومن حققه ومن نظر فيه ، إنه سميع قريب مجيب . وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وأتباعه إلى يوم الدين .

= الحفظية) ، ولعل هذا أول إصدار من تراثهم ، وأسأل الله التوفيق لإكمال الباقي ، كما أسأله أن يغفر لي ولهم . ولقد ألفت جزءاً عن علمائهم وسميته (البَيَان المُرضِي في نَسَبِ وَسِيرة آل الحِفْظِي) تقديراً لهم ولعلمهم .

ترجمة الحفظي

ترجم له عددٌ من الكتّـاب والمحققين ، بعضهم من حفـدة الشيخ المـذكور ، وقد رأيت أنه من الأمانة العلميـة . إيراد مـا قـالـه كلٌّ منهم هنـا لتفـاوتهم في الترجمة :

١ ـ قال صاحب نيل الوطر : الشيخ العلامة : محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي العُجَيلي العَسِيري الرُجَالي [١] .

وقال عمر كحالة في معجم المؤلفين : مثل ذلك [٢] .

وقال صاحب نفحات من عسير عن الجد الخامس للشيخ محمـد : إنـه موسى ابن جَغْثَم بن عُجَيل بن عيسى بن حسن بن محمـد بن أسعـد بن عبـد الله بن أحمد اهـ [٣] .

وقال ابن بطوطة في رحلته : أحمد بن العُجَيلي اليمني ، من قرية يقال لهـا غَسَانَة ، قال المحقق : وتسمى اليوم بيت الفقيه . وقال ابن بطوطة أيضـاً : إنـه رجل عابد زاهد خاشع كان من أكبر الرجال وأهل الكرامات اهـ [٤] .

وقال أبو داهش في ترجمته له في رسالة ذوق الطلاب :

هـو : محمـد بن أحمـد الحفظي بن عبـد القـادر بن أبي بكر بن مهـدي بن موسى بن جَغثم بن عجيـل بن عيسى بن حسن بن محمـد بن أسعـد بن عبـد الله ابن أحمد [٥] .

قلت : وأحمـد هـذا هو ابن عجيل اليمني ، ثم إلى عـك بن عـدنـان كما قـال

(١) ج ٢ / ٢٢٥ .

(٢) ج ٨ / ٢٧٨ .

(٣) ص ٢٣ .

(٤) ج ١ / ٢٧٣ .

(٥) ص ٦ .

حفيده محمد بن إبراهيم الحفظي في : نفحات من عسير[6] .

مولده :

قال صاحب نفحات من عسير : ولد ببلدة رجال المع في ١٥ / ٤ / ١١٤٥ هـ [7] .

وقال أبو داهش [8] : إن تاريخ مولد الشيخ هو كما أوضحه والده أحمد الحفظي في ورقة .

مشائخه وتعليمه :

قال صاحب نيل الوطر[9] عن مشائخ الحفظي وهم :

١ ـ والده العلامة : أحمد الحفظي بن بكري .

٢ ـ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل .

وذكر مثله في : نفحات من عسير[10] .

قلت : ومن مشائخه الشيخ العلامة محمد بن عبد الهادي بن بكري .

أما عن سيرة تعليمه :

فإنه لما بلغ في تعليمه على يد والده وأعمامه ما بلغ ، وبعد أن آنس فيه والده القدرة على الأسفار وتحمل مشاقها ، وعلم فيه الثقة والعفة وقوة العزيمة ، أرسله إلى فقهاء المخلاف السليماني ـ ويكنون بالفقهاء السباعية ـ ، فلما قضى منهم مطالبه العلمية . أوجس في نفسه العزيمة على الازدياد من

(٦) ص ١٧ .
(٧) ص ٤٤ .
(٨) ص ٦ .
(٩) ج ٢ / ٢٢٥ .
(١٠) ص ٤٤ .

غيرهم ، فسافر إلى اليمن ، حيث العلامة : السيد / عبد الرحمن بن سليمان الأهدل اليماني الزبيدي ، فأخذ عنه ما أخذ من العلم الغزير ومن غيره أيضاً من علماء اليمن الكبار ، ثم لم يكفِه العودة إلى بلده ، بل رحل إلى حضرموت ، وأخذ عن عدد من علمائها ، وقد دام سفره لطلب العلم عشر سنوات [11] عاد بعدها إلى بلدته (رُجَال) ، وهو يومئذ حجة في علوم الدين واللغة ، وقد عيّنه الإمام سعود بن محمد رحمه الله ، نائباً لوالده في القضاء ، ثم قاضياً بعد وفاة والده .

حياته العلمية :

قال صاحب نيل الوطر : « كان الحفظي سريع البادرة حسن المحاضرة ، مع تواضع ودماثة أخلاق ، واشتغال بما يقربه من الملك الخلاق ، وكان المرجع لأهل جهته بعد وفاة والده [12] » .

وقال صاحب نفحات من عسير : « قام بنشر علوم الدين وشرح مفاهيمه وتدريس اللغة العربية وقواعدها لطلاب المعرفة .. إلى قوله : وقد أسس وصنوه إبراهيم مدرستين لطلبة العلم لا تزال آثارهما باقية » [13] اهـ .

« ومن تلاميذه المشهورين صنوه إبراهيم المولود سنة ١١٩٩ هـ [14] وهو عالم كبير له مصنفات كثيرة لا سيما في اللغة العربية » اهـ .

استجابته للدعوة النجدية :

قال في نيل الوطر : « ولما ظهرت الدعوة النجدية بالبلاد التهامية ، كان صاحب الترجمة ممن مال إليها وحث الناس على إجابتها ، وكتب إلى حاكم

---

(١١) نفحات . ص ٤٤ .

(١٢) ج ٢ / ٢٢٥ .

(١٣) ص ٤٤ .

(١٤) ج ١ / ٧ ، ج ٢ / ٢٢٥ نيل الوطر .

المخلاف السليماني بأبي عريش .. إلى قوله : وسائر علماء المخلاف » [١٥] اهـ .

وقال في نفحات من عسير : « والجدير بالذكر أنه أيّد دعوة التجديد أيام ظهورها بعقله وقلبه وتفاعل معها .. إلى قوله : كان يذهب بنفسه إلى الدرعية مقر الإمام سعود الكبير ويتصل بالدعوة » [١٦] اهـ .

وقد وصفه الأخ أبو داهش في مقدمته على رسالة ذوق الطلاب بما هو أهل له ، حيث قال : « كان محمد الحفظي أكثر تحمساً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودفاعاً عنها ؛ حيث بيّن أفكارها ودعا الناس إلى قبولها ونصرتها » اهـ .

كما قال عنه قبل ذلك : « اتصف الشيخ محمد الحفظي بمواقفه الإسلامية الرائعة إذ انشغل بالدعوة إلى الله ، ودعا إلى وحدة إسلامية شاملة ، وأشعل الحماس الديني في قلوب الأهلين بما يعلنه في نثره وشعره من القول النافع والدعوة إلى العمل الصالح » [١٧] اهـ .

وأقول : نعم فلقد كان الحفظي نبراساً ومشعلاً وضاءً في جنوب الجزيرة العربية ، ووالده من قبله وأجداده الغر الميامين ، ثم بَنِيْه وأحفاده ، كلهم جاهدوا أنفسهم لطلب العلم والتفقه فيه ، حتى علموه نصوصاً وأصولاً وفروعاً ، ثم عملوا على نشره وتعليمه للناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور .

أما ما يخص بالدعوة ونشرها ، فقد كان لهم الفضل بعد الله في أن دعوا من حولهم إليها ، فلما استجابوا توسعوا إلى دعوة علماء وحكام المخلاف السليماني ، حيث إن ذلك المخلاف له شأنه الكبير ، فلما استجابوا ورحبوا بالدعوة وأهلها واستتب أمرها في منطقة تهامة ، قام الحفظي بالكتابة إلى أهل

---

(١٥) ج ٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ 	(١٦) ص ٤٤ .

(١٧) ص

اليمن فكتب إلى الإمام المنصور بن علي ، يدعوه إلى استجابة الدعوة ، والعمل بها ونشرها في ربوع اليمن ، ومما قاله شعراً [١٨] :

فهب لنا من نجد أنصار دعوة ... لسنّة خير الخلق طابت مساعيه
لهم برسول الله آس وقدوة ... ومن تبع المختار فالله ينجيه
فيا أيها الحي اليماني دونكم ... نداء إلى التوحيد لبوا لداعيه

فأجابه إمام اليمن بالموافقة والترحيب بتلك الدعوة الكريمة ، وأرسل مع الرسالة أرجوزة طويلة انظرها في نفحات من عسير [١٩] .

آثار الحفظي :

قال في نيل الوطر : « ولصاحب الترّجمة مؤلفات في النحو وغيره » [٢٠] .

وقال عمر رضا كحالة مثل ذلك في معجم المؤلفين [٢١] .
وبيّنها صاحب نفحات من عسير [٢٢] ، ومثله أبو داهش في ذوق الطلاب [٢٣] ، ونذكرها هنا مثلهم . وهي :

١ ـ الألفية الحفظية . نظم النسخ المرضية .

٢ ـ تكملة الظل الممدود . في الوقائع والحوادث في عهد آل سعود .

٣ ـ درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين . وهي التي بين أيدينا .

٤ ـ ذوق الطلاب في علم الإعراب . بتحقيق الدكتور : عبد الله أبو داهش الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود / فرع أبها .

٥ ـ اللجام المكين .

---

(١٨) ص ٥٦ نفحات من عسير .
(١٩) ص ٨٥ .
(٢٠) ج ٢ / ٢٢٦ .
(٢١) ج ٨ / ٢٧٨ .
(٢٢) ص ٤٥ .
(٢٣) ص .

٦ ـ مفاتيح المعارف . ومصابيح العوارف .

٧ ـ النفحات العنبرية في الخطب المنبرية .

٨ ـ الهدية السنية نظم الأجرومية .

هذه آثاره في العقيدة واللغة والتاريخ ، ومكتبة آل الحفظي ، بها ذخائر العلم والمعرفة ، التي نرجو أن نراها في أيدي الباحثين ، والمحققين إن شاء الله قريباً .

وفاته رحمه الله :

قال صاحب نيل الوطر : « مات بقرية رجال من عسير في ١٢٣٧ هـ »[٢٤] .

وقال « مثله » رضا كحالة في معجمه[٢٥] .

وقال في نفحات من عسير : « مات ببلدته رحمه الله في يوم الاثنين ، غرة ربيع الثاني عام ١٢٣٧ هـ عن عمر بلغ ٥٩ سنة »[٢٦] رحمه الله ونوّر قبره إنه هو الرحمن الرحيم .

* * *

(٢٤) ج ٢ / ٢٢٦ .

(٢٥) ج ٨ / ٢٧٨ .

(٢٦) ص ٤٥ .

١

درجات الصاعدين إلى مقامات
الموحدين جمع الشيخ العامل
العالم المحقق المدقق
محمد ابن أحمد الحفظي
غفر الله لهما وصلى
الله على سيدنا
محمد النبي الأ
مي وآله وصحبه
وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغني الحميد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث بالقرآن المجيد، وآله وصحبه
وصالحي العبيد. أما بعد فهذه ثمان درجات يرتقي بها المستفيد إلى معارج
علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ويصعد عليها السالك إلى مدا
رج حكم التفريد، ويتجاوز بها دركات الشرك والتنديد، ويطلع
عليها الجاهل من أسفل سافلين إلى أعلى عليين، وسميتها درجات الصا
عدين إلى مقامات الموحدين. الدرجة الأولى: أن أصل الدين ورأس
الدعوة هو توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله بالعبادة، ونفي الشريك
فيها، والدليل على ذلك قوله تعالى في أول آية بعث بها النبي محمد صلى الله
عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك
فطهر والرجز فاهجر، وفي التفاسير أن الرجز هي الأوثان، والهجر هو الترك.
وفي الحديث النبوي ما يدل أن عبادة الشيء تصيره وثنا في قوله
صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. وقال سبحانه وتعالى
أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح
من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون. قيل
مروهم بلا إله إلا الله، ذكره البغوي رحمه الله في تفسيره. وقال سبحانه وتعالى
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى
الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين. وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه
أنه لا إله إلا أنا فاعبدون. والطاغوت اسم عام لما يعبد من دون الله، فطاغوت كل قوم
معبودهم من دون الله، ومتبوعهم على غير بصيرة من الله، ومطاعهم في معصية الله
أو حاكمهم

الورقة الأولى من مخطوطة (س)

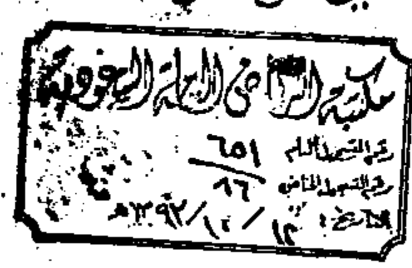
درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين جمع الفقير إلى الله [illegible] أحمد
[illegible] رحمه الله ونفعنا به

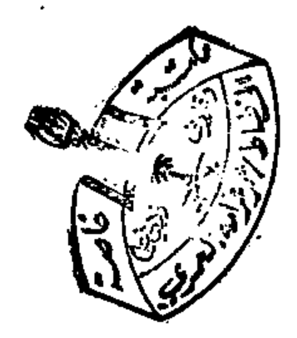
بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] وصلى الله على سيدنا
محمد المبعوث بالقرآن [illegible] أما بعد
فهذه ثمان درجات [illegible] يصعد
عليها السالك [illegible] الشرك
والتنديد [illegible] من أسفل سافلين إلى أعلى عليين وسميتها
درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين [illegible] الدرجة الأولى
[illegible] توحيد الألوهية الذي هو
إفراد الله بالعبادة ونفي الشرك [illegible] والدليل على ذلك قوله
في أول آية نادى بها النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها المدثر قم فأنذر
وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وفي التفاسير أن الرجز
هو الأوثان [illegible]
[illegible] وفي الحديث النبوي ما يدل
على أن عبادة [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible] ينزل الملائكة
بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا

الورقة الأولى من مخطوطة (يا)

الورقة الأخيرة من مخطوطة (يا)

فأجاب دعوته ولباه وآوى غربته الشيخين السعودين محمد بن سعود مع [illegible]
من الإخوان مواتيكا [illegible] وانتهى بمجهوده وبطوقه وسعا
منه حتى استوى على سوقه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حتى أورى
بيننا القابس من أنوار التوحيد وأروى عطشا لعنا [illegible] من شراب التجريد
ثم ولي الخلافة على المسلمين فأحسن قيادها بالهدى والتمكين الإمام سعود
بن عبد العزيز أيده الله فنزع جميع المسلمين بقرآنه وسلطانه ونزع عن [illegible]
المشركين بتوحيده وإيمانه في سياسة شرعية وسيرة عمرية وصابت جرية
تعرب بعلانيتها عليه في سره وطرد أمام ناصح فنصح الله له فبلغه الله ما
أمله وما أمله وهذه النسخة المجموعة والفوائد المسموعة قطرة
من سحائب الدعوة ودرة من درر من عجائب أولئك الصفوة
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
تحريرا في شهر شوال سنة [illegible] تمت النسخة المباركة بحمد الله ومنه وجوده وكرمه
والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وهو حسبي ونعم الوكيل
جمع الفقير إلى الله الشيخ [illegible] محمد بن أحمد الحفظي عفا الله عنهما







الورقة الأخيرة من مخطوطة (س)

الورقة الأخيرة من مخطوطة (س)



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ الحفظي

الحمد لله الغني الحميد ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث بالقرآن المجيد ، وآله وصحبه وصالح العبيد .

أما بعد :

فهذه ثمان درجات يرقى بها المستفيد إلى معارج علم التوحيد ، ويصعد عليها السالك إلى مدارج حكم التفريد ، ويجاوز بها دركات الشرك والتفنيد ، ويَطَّلَعَ عليها الجاهل من أسفل سافلين ، إلى أعلى عليين ، وسميتها درجات الصاعدين ـ إلى مقامات الموحدين .

الدرجة الأولى

إن أصل البعثة ورأس الدعوة ؛ هو توحيد الألوهية ، الذي هو إفراد الله بالعبادة ونفي الشرك عنها ، والدليل على ذلك قوله تعالى في أول آية نادى بها النبي ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [1] ، وفي التفاسير أن الرجز : هي الأوثان ، والهجر : هو الترك ، وفي الحديث النبوي ما يدل على أن عبادة الشيء ، وثناً في قوله ﷺ :

« اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » [2] وقال سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : **﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾** [3] .

قيل : مروهم بلا إله إلا الله ، ذكره البغوي رحمه الله في تفسيره [4] . وقال سبحانه :

---

(١) أول سورة المدثر .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ / ٢٤٦ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

وأخرجه مالك في الموطأ / كتاب قصر الصلاة في السفر عن عطاء بن يسار : بلفظه وزاد « وثناً يعبد » .

(٣) أول سورة النحل .

(٤) حيث قال : « معناه مروهم بقول لا إله إلا الله منذرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا » ج ٥ / ٣٩ ابن كثير والبغوي .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهَ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةَ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) .

والطاغوت : اسم عام لما يعبد من دون الله ، فطاغوت كل قوم معبودهم من دون الله ، أو متبوعهم على غير بصيرة من الله ، أو مطاعهم في معصية الله ، أو حاكمهم بغير ما أنزل الله (٣) .

وهذه الأدلة في بيان دعوة كل رسول ، قال تعالى :

﴿ إذ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدُوا إلا اللهَ ﴾ (٤) .

وأما التفصيل فقال سبحانه وتعالى في سورة نوح :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرِ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَن اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُون ﴾ (٥) .

ومعنى الإنذار : الأمر بالعبادة التي هي التوحيد ، والتقوى والطاعة ،

---

(١) الآيتان : ٣٦ ، ٣٧ من سورة النحل .

(٢) الآية : ٢٥ .

(٣) قال شيخ الإسلام المجدد ـ محمد بن عبد الوهاب ـ :

(٤) الآية : ١٤ من سورة فصلت .

(٥) الآيتان : ١ ، ٢ .

وذكر الله سبحانه وتعالى ما قاله نوح عليه السلام ، في سورة نوح وما قاله قومه :

﴿ **وَقالوا لا تذَرنَ آلهتكُم ولا تذَرَنّ وداً ولا سواعاً ولا يغُوثَ ويعُوق وَنَسْراً** ﴾ [1] وهذه أسماء قوم صالحين ماتوا جميعا ، فحزنوا عليهم ونصبوا صورهم ، وكانوا يعكفون عليها ويعبدونها [2] بعد طول المدة ، وكان ذلك أول شرك بني آدم ، وسببه الغلو في الصالحين .

وهذه الصور أصولاً لأصنام قريش أيضاً ، وقال تعالى في إبراهيم الخليل عليه السلام في سورة العنكبوت :

﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [3] وقال سبحانه في سورة الشعراء :

﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ، قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ العَالَمِينَ** ﴾ [4] .

ففي هذه الآيات ، أن عبادة أصنامهم هي العكوف عليها ، وأنهم لا

---

(١) الآية : ٢٣ .

(٢) في المخطوطتين : ويعبدونهم . والصواب ما ذكرنا عطفاً على ما قبلها .

(٣) الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٤) الآيات : ٦٩ : ٧٧ .

ينفعون ولا يضرون ، وأنهم حملهم على ذلك اتباع آبائهم ، وأن إبراهيم عليه السلام قال :

(إن العابد والمعبود عدو له إلا رب العالمين) ، وقال سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ ﴾ [1] الآية .

وهذه الآية فيها وجوب البراءة منهم والكفر بهم وظهور العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده فالغاية التي ينتهي [2] عندها هذه الأمور هي الإخلاص في العبادة والتصديق بالله والإذعان له [3] ، وقال الله تعالى في سورة الزخرف :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [4] (وهذه الكلمة الباقية في عقبه [5] هي) معنى (لا إله إلا الله) ، إذ معناه [6] يعني أنني براء منكم (النفي) ، وقوله إلا الذي فطرني ، (الإثبات) ، ذكر هذا البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات) [7] . وقال الله تعالى في سورة النحل :

---

(١) الآية : ٤ .
(٢) في ي : ينتهى .
(٣) في ي : والتصديق والذعان لله .
(٤) الآيات : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . .
(٥) في الأصول : وهذه الكلمة هي الباقية في عقبه وهي معنى : وقد حذفت هي الأولى والواو من الثانية : ليستقيم المعنى .
(٦) في ي : إذ معاه . وفي س : إذ مجازه . والصواب ما ذكرت .
(٧) لم أقف على كتاب البيهقي .

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] .

ومعنى الخطاب يقتضي العموم ، فهذه ملة أبينا إبراهيم أيها السالكون ، وهذه سنّة نبينا ـ عليهما السلام أيها المتبعون ، قال تعالى :

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتنا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوب كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ واليَسَعَ وَيُونسَ وَلُوطاً وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [3] .

وهاهنا اسكب [4] العبرات ، إذا كنت من أهل الاعتبارات ، لمعاني العبادات .

والحجة التي أوتي إبراهيم على قومه : قال مجاهد [5] هي : قوله تعالى :

---

(١) الاية : ١٢٣ .

(٢) الآية : ١٣٢ من سورة البقرة .

(٣) الآيات : ٨٣ ـ ٨٨ .

(٤) في الأصول : يسكب ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) قلت : « قال الطبري في تفسيره بسنده عن مجاهد **﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾** قال : هي **﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾** وبسند آخر قال : قال إبراهيم حين سأل : أي =

﴿ وَالَّـــذِينَ آمَنُـوا وَلَمْ يَلْبِسُـوا إِيمَـــانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِـــكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَـدُونَ ﴾ [1] ذكره البغوي ، والظلم هـاهنـا هو الشرك ، ذكره البخـاري في صحيحه في كتاب التفسير [2] ، وقيل هي التي احتج بهـا إبراهيم على قومـه من أقوال الكواكب وغيرها .

وقال الله تعالى وهو [3] أصدق القائلين :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِـكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُـكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ، بَلِ اللهَ فَاعْبُـدْ وَكُنْ مِنَ الشَّـاكِرِينَ ﴾ [4] والخطـاب للنبي ﷺ والمراد [5] أمته .

وقال الله تعالى في سورة الأعراف .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَـالَ يَـا قَوْمِ اعْبُـدُوا اللهَ مَـا لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [6] .

= الفريقين أحق بـالأمن ؟ هي حجـة إبراهيم وقولـه : ﴿ آتَيْنَـاهَـا إِبْرَاهِيمَ ﴾ يقـول : « لقنـاهـا إبراهيم وبصرناه إياها » ج ٧ / ٢٥٩ .

(١) الآية : ٨٢ من سورة الأنعام .

(٢) قلت : أخرج البخـاري عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنـه) قـال : لمـا نـزلت : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُـوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ قـال أصحـابـه : يعني أصحـاب النبي ﷺ : وأينـا لم يظلم ؟ فنزلت : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ فتح الباري ج ٨ / ٦٥ .

(٣) زيادة اقتضى السياق إثباتها .

(٤) الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ من سورة الزمر .

(٥) قاله الإمام الطبري وغيره من المفسرين وقال : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : لا تعبد مـا أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبـادتـه ، بل الله فـاعبـد دون كل مـا سواه من الآلهـة والأوثان والأنداد ﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ لله على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته ..) الخ . ج ٢٣ / ٢٤ .

(٦) الآية : ٥٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِلَى ثَمُود أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [2] وقال الله تعالى : ﴿ وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه ﴾ [3] وذكر (سبحانه) [4] لوطاً عليه السلام ، ثم قال عز من قائل عليهم في بيان دعاء أكثر الرسل إلى التوحيد :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَونَ وَمَلائِهِ ﴾ [5] إلى آخر ما قصه الله (عز وجل) [6] في سورة الأعراف من دعوات الرسل عليهم السلام ، وختم ذلك (سبحانه) [6] بذكر نبينا محمد ﷺ ، فقال الله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِي الأُمِّي الَّذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاته وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [8] .

وقال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ ، أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [9] ، فتفكر في الدعوة ، ما هي ؟ فقد قص الله علينا في كتابه العزيز دعوة الرسل ، من

---

(١) الآية : ٦٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية : ٧٣ الأعراف .

(٣) الآية : ٨٥ الأعراف .

(٤) زيادة اقتضى السياق إثباتها .

(٥) الآية : ١٠٣ الأعراف .

(٦) زيادة اقتضى السياق إثباتها .

(٧) زيادة اقتضى السياق إثباتها .

(٨) الآية : ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٩) الآيتان ١ ، ٢ من سورة هود .

أولهم إلى آخرهم ، صلوات الله عليهم أجمعين ، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة هود :

﴿ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ [1] .

فانظر أيضاً ما في أنباء الرسل من الفوائد العظيمة : ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [2] .

وفي أول صحيح البخاري ، عن ابن عباس في حديث أبي سفيان في قصة هرقل أنه قال [3] :

« ما يأمركم به ، قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم » [4] .

وحديث عمرو بن عنبسة في صحيح مسلم في قوله : ما أرسلك الله به قال عليه الصلاة والسلام : « أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئاً » [5] .

فانظر إلى ما ذكر في الصحيحين من معنى الدعوة والرسالة ، وأنه توحيد

---

(١) الآية : ١٢٠ من سورة هود .

(٢) الآية : ٢٥ من سورة يونس .

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح حديث (السابع) فتح الباري ج ١ / ٣١ بلفظ : « لا يا أبا سفيان يسأله ما يأمرهم به محمد في أول بعثته قلت : يقول اعبدوا الله وحده ... » الحديث .

(٤) قلت : الحديث طويل انظره في فتح الباري ج ١ / ٣٢ وهو الحديث السابع في كتاب بدء الوحي .

(٥) عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ بمكة ، (يعني في أول النبوة) فقلت له : ما أنت ؟ قال : « نبي » فقلت : وما نبي ؟ قال : « أرسلني الله » فقلت : بأي شيء أرسلك ؟ قال : « أرسلني بصلة ... » الحديث .

الألوهية ، وترك الشرك ، ورفض ما عليه الآباء ، لو كانوا مشركين ، وتفكر فيما كان عليه النبي ﷺ ، وأصحابه بعد النبوة وقبل الهجرة ، ما كانوا يدعون الناس إليه وينهونهم عنه ، والقرآن ينزل عليه عشر سنين ، والناس ما بين مقبل ومدبر ، والموالاة والمعاداة قائمة بين المقر والمنكر ، ومكث على ذلك عشر سنين ، من اتبعه وأطاعه فهو الموحد الناجي ، ومن عصاه وخالفه ، فهو المشرك الهالك ، وليس إذ ذاك ، صلاة ولا صيام ، فضلاً عن غيرهما من شرائع الإسلام ، ولا هناك نهي عن شيء من الكبائر ، تقام فيه الحدود والأحكام ، ومات على ذلك كثيرٌ من الفريقين ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

فإذا تفكرت يا أخي ، ظهرت لك الفائدة ، وعاد عليك النظر بأحسن فائدة ، وتبين لك أن الذي طلبه الرسول ﷺ [1] منهم [2] هو توحيد الألوهية ، وإفراد الله بالعبادة ، وأن الذي نهاهم عنه ، هو الشرك بالله في العبادة ، من الذبح ، والاعتقاد ، والعكوف ونحو ذلك ، وأنهم مشركون بذلك ، يعاديهم عليه ويحاربهم [3] فيه ، من غير نظر إلى بقية المعاصي ، الكبائر والصغائر ، وأن أصحابه هم الموحدين بترك ذلك ، وصرفه لله دون غيره ، يواليهم عليه ، ويدعوهم إليه ، من غير نظر إلى غيره ، من الطاعات والواجبات ، والمندوبات ، وبهذا التقرير ، يحصل التأثير وتنقشع ظلمة الجهل بهذا التنوير .

---

(١) زيادة اقتضى السياق إثباتها .

(٢) أي : من الكفار ، وكفار قريش خاصة في بدء الدعوة .

(٣) ودليله ما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ، انظر ص ٤٣ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١] .

☆ ☆ ☆

---

(١) الآيتان : ٥٧ ، ٥٨ من سورة يونس .

الدرجة الثانية

إن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية ، الذي هو الإفراد بأفعال الله ، وصفاته ، واتصافه بذلك دون غيره ، كالخالقية ، والرازقية ، والملكوتية ، وغيرها من صفات الربوبية ، وإن غيره مربوب له ، ومخلوق له ، ومرزوق ومتصرف فيه ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، وإنهم مقرون بذلك وإن ذلك لم يدخلهم في الإسلام ، ولم يُحَرِّم دماءهم وأموالهم لانتفاء شرطه وشطره ، من توحيد الألوهية ، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة يونس :

﴿ **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ [1] .

وبتفهم الآية تفريقهم بين الربوبية والألوهية ، وأنها حيث اجتمعا افترقا ، وحيث افترقا اجتمعا ، وعلى هذا سؤال القبر في قوله من ربك ، أي : من إلهك ، لأن توحيد الربوبية لا يمتحن بها ، وكذلك قوله تعالى :

﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً** ﴾ [2] أي : إلهاً ، وأما افتراقهما فقوله تعالى :

﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ** ﴾ [3] فاعرف هذا ، وقال سبحانه في سورة المؤمنون .

﴿ **قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا**

---

(١) الآيتان : ٣١ ، ٣٢ من سورة يونس . (٢) الآية : ١٦٤ من سورة الأنعام .

(٣) أول سورة الناس .

تَـذَكَّرُونَ ، قُل مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ للهِ قُـلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُـوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْـهِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَـأَنَّى تُسْحَرُونَ ، بَـلْ آتَيْنَـاهُمْ بِـالحَقِّ وَإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَـان مَعَـهُ مِنْ إلَـهٍ إذاً لَـذَهَبَ كُلُّ إلَـهٍ بِمَـا خَلَقَ وَلَعَلَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [1] .

والاستفهـام هنـا للتقرير ، وقـد أُخْبِرْنَـا بمـا يقول العليم الخبير ، وقـال في سورة العنكبوت :

﴿ وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماء مَـاءً فَـأَحْيَـا بِـهِ الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْـدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُـونَ ﴾ [2] ﴿ وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِـاللهِ إلا وَهُمْ مُشْرِكُـونَ ﴾ [3] وتفسير هـذ الآيـة إيمـانهم بتـوحيـد الربـوبيـة ، وشركهم في توحيد الألوهية ، وهنا اجتمع الشرك والإيمان اللغوي ، وقال تعـالى في سورة الزخرف :

﴿ وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُـولُنَّ اللهَ فَـأَنَّى يُـؤْفَكُـونَ ﴾ [4] وقـال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَن خَلَـقَ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُـولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَـزِيـزُ العَلِيم ﴾ [5] .

بل هـذا فرعون مع دعواه أقبح دعوى ، يقول الله فيـه حـاكيـاً عن موسى عليه السلام :

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض بَصَائِر ﴾ [6] وقال

(١) الآيات : ٨٤ ـ ٩١ من سورة المؤمنون .
(٢) الآية : ٦٣ .
(٣) الآية : ١٠٦ من سورة يوسف .
(٤) الآية : ٨٧ .
(٥) الآية : ٩ من سورة الزخرف .
(٦) الآية : ١٠٢ من سورة الإسراء .

إبليس اللعين :

﴿ **إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِين** ﴾ [١] فبعث الله النبي محمداً ﷺ يدعوهم إلى الله ، بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية ، وأن يفردوه بكلمة لا إله إلا الله ، معتقدين معناها ، عاملين بمقتضاها ، لا يدعون مع الله أحداً ، ولم ينكر المشركون على الرسل ، إلا طلبهم إفراد العبادة لله وحده ، ولم ينكروا الله ولا أنه يُعبد بل أنكروا كونه يفرد .

﴿ **وَقَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَان يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾ [٢] .

وعبادتهم العكوف عند معابدهم ، والهتوف بها عند شدائدهم والذبح لها ، مع اعتقادهم أن صفات الربوبية لله وحده ، ليس لشركائهم منها شيء ، وأنهم يريدون التقرب بذلك والشفاعة عند الله ، فبين شرك أهل زماننا وشرك الأولين فروق أربعة :

الأول أنهم لا يشركون في توحيد الربوبية ، ولا يشركون في الشدة ، ويردون الشفاعة والقربة ، ويطلبون من الله سبحانه بواسطتهم ، ومشركو زماننا يفارقونهم في هذه الأربع . والدليل على الأولى ، ما مَرَّ آنفاً في إقرارهم بتوحيد الربوبية ، والدليل على أنهم لا يشركون في الشدة قوله تعالى :

﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُم الضُرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٣] ، وقال تعالى :

﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُرُّ فِي البَّحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً** ﴾ [٤] وقال تعالى :

(١) الآية : ١٦ من سورة الحشر .
(٢) الآية : ٧٠ من سورة الأعراف .
(٣) الآيات : ٥٣ ـ ٥٥ من سورة النحل .
(٤) الآية : ١٦٧ من سورة الإسراء .

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وهذه اللام لام العاقبة عند النحويين ، أي : عاقبة شركهم الكفر والتمتع ، ودليل أنهم يريدون الشفاعة ويطلبون القربة ، قوله :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُو كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[2] .

والتقدير أي : قائلين ما نعبدهم إلى آخره ، وقال تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾[3].

وهذه الأدلة هي دليل للمسألة الرابعة ؛ أنهم يريدون من الله سبحانه لا منهم بل أرادوا الوسطاء في هذا شركاً[4] ، وتأمل أيها الناظر حال مشركي زماننا في هذه الأربع ، أنهم أشركوا في صفات الربوبية ، وفي الشدة ، وطلبوا من معابدهم وأرادوا المطالب منهم ، ويا عجباه من هذا .

والفطرة السليمة والعقول المستقيمة ، تدل عليه ضرورة ، لولا أن الشياطين اجتالت قلوب المشركين وغيرت الفطرة ، وهذا هو الواقع وقد أشرقت المطالع وظهرت الأدلة للقارىء والسامع ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[5] .

---

(١) الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ من سورة العنكبوت .
(٢) الآية : ٣ من سورة الزمر .
(٣) الآية : ١٨ من سورة يونس .
(٤) زيادة اقتضى السياق إثباتها .
(٥) الآية : ٣٩ من سورة القمر .

الدرجة الثالثة

إن الإلهية هي : العبادة ومعناها التوحيد ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : كل ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناها التوحيد . قال تعالى في سورة الذاريات : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدُون** ﴾ [1] أي : يوحدون ، وقال رب الأرباب في فاتحة الكتاب : ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ أي : نوحدك ونعطيك ، وتقديم المعمول يفيد الحصر والاختصاص ، كما ذكره علماء البيان ، ومثل ذلك قوله تعالى :

﴿ **إيَّاي فَاعْبُدُونَ** ﴾ [2] وهذا يتضمن الأمر بالعبادة لله وحده . والنهي عن الشرك ، فالضمير الظاهر المقدم يفيد النهي عن الشرك ، وفعل الأمر يفيد وجوب العبادة لله تعالى ، مثل قوله تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** ﴾ [3] وقال عز من قائل في سورة البقرة ، (وفي) أول آية فيها نداء : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [4] أي : وحدوا ربكم كما قاله المفسرون ، وقال تعالى :

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ [5] إلى آخر السورة التي تسمى سورة الإخلاص ، أي إخلاص التوحيد العملي ، فالعبادة فيها :

هي التوحيد وهي الدين المرضي أيضاً . وكرر النفي ليعم الماضي والمستقبل .

---

(١) الآية : ٥٦ .

(٢) الآية : ٥٦ من سورة العنكبوت .

(٣) الآية : ٣٦ من سورة النساء .

(٤) الآية : ٢١ .

(٥) أول سورة الكافرون .

والتكرير يوجب التأثير خصوصاً أن الشرك العملي ، يحتاج في قلعه إلى مثل هذا .

والمراد هنا أن العبادة هي الإلهية المختصة بالله .

والعبادة في اللغة : غاية التذلل والخضوع [1] .

وشرعاً : ما أمر الشرع به من أفعال العباد وأقوالهم ، المختصة بجلال الله وعظمته .

وهي اسم جنس يشتمل على أنواعٍ كثيرة ، وأصل العبودية : الخضوع والذل ، والتعبد : التذلل .

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب : « قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ أي نطيع الطاعة التي يخضع معها .. إلى قوله : ومعنى العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع » . وقال : وأصل العبودية الخضوع والتذلل » اهـ .

انظر اللسان بترتيب يوسف خياط ، ج ٢/ ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

قلت : وإنه لما يؤسف له أن أناساً من المسلمين يصرفون بعضاً من أنواع العبادة لغير الله فإن قيل ما هو ؟ قلت : الركوع ، الذي ذهب المقلدون من المسلمين إلى تقليد الكافرين والتشبه بهم وصرف هذا النوع من أنواع العبادة للمخلوقين وهو حرام وشرك ، كيف لا وأنت أيها الفاعل لذلك قد فعلته عندما تودع لك صديقاً مسافراً أو تستقبل آخر مقبلاً أو تسلم على ذي منصب عالٍ في مكتبه أو وهو يسير في طريقه من مكان إلى مكان . فإن قلت لم أفعل من ذلكم من شيء قلنا : لقد شاهدنا في شاشة التلفاز وأنت تستقبل ضيفاً قادماً بعد أن تسلم عليه تنحني له نصف انحنائك في ركوع الصلاة ، وشاهدناك في الوداع مثل ذلك ، كما شاهدنا كثيراً مثلك يفعلون المحافل والمهرجات الكبيرة والصغيرة ، لذا وجب علينا نصحك وتذكيرك ، إن هذا عنصر من عناصر العبادة لله اختص الله بذلك لنفسه فلا يجوز صرفه إلى غيره ، ومن فعل من ذلك من شيء فقد أشرك مع الله . نسأل الله العافية والسلامة .

إن كنت ممن يفعلون من ذلك من شيء فبادر بالتوبة إلى الله الواحد الديان الخالق الرازق المستحق للعبادة وحده ، قبل أن تموت وأنت على ذلك فتصبح من الهالكين .

فلقد علمنا أن ذلك من التعظيم للمخلوقين ، **والتعظيم كذلك لا يكون إلا لله وحده فاعلم ذلك .**

والعبادة [1] : الطاعة [2] ، ومنها الاستغاثة [3] والذبح [4] والنذر [5] ونحوها [6] .

وقد يجتمعان ويفترقان ، أعني الطاعة والعبادة .

فإن قيل إن الذم بالتكفير ورد في من عبد الأصنام والأشجار والأحجار أو عبد الطاغوت من الكهان أو الشيطان ، فكيف يكون ما نزل فيهم ، فيمن عبد الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ؟

فالجواب:إن ما يُعبد به الأصنام من الدعاء والذبح والاعتقاد هو الذي يُفعل للأولياء وغيرهم . والذي يطلب منهم هو الذي يطلب من أولئك المذمومين ، وفعل المشركين الآخرين ، فقد استوت الكفتان وتشابهت الطائفتان ، وإذا استوى الأصل والفرع في العلة ، استويا في الحكم . فكيف إذا وجد النص

---

(١) قلت : قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) ، والعبادة اسم جامع لما يحبه الله ، من الأقوال ، والأفعال ، والأعمال ، ثم ذكر منها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والذبح والنذر ... ثم عدّد لها أكثر من ستة عشر نوعاً ، وقال : لا يجوز صرف شيء منها لغير الله ؛ اهـ .

(٢) الطاعة : هي الانقياد وتنفيذ الأمر ، قال في القاموس المحيط : طاع : انقاد . وطوع يديك : منقاد لك ج ٣ / ١٠٨ .

(٣) فلا يجوز أن يستغاث بغير الله ؛ لقوله تعالى : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ الأنفال : ٩ .

(٤) يحرم أن يذبح لغير الله ؛ لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ** ﴾ .

(٥) والنذر كله لله ؛ لقوله تعالى : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** ﴾ الدهر : ٧ .

(٦) وسائر العبادة كلها لله وحده لا شريك له ؛ قال تعالى : ﴿ **فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ** ﴾ فمن صرف منها شيء لغير الله فقد أشرك ، وكل أعماله مردودة غير مقبولة ، ويموت ويخلد في النار ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ .

المقدم على القياس ، إذاً فقد ارتفع الإشكال والالتباس ، وإذا لم يبق إلا النظر بين عباده الصالح والطالح ، فهاك الدليل الواضح .

﴿ الرَّحْمٰن . عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإنْسَانَ . عَلَّمَهُ البَيَان . الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَان . وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ . أَلا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَان ﴾ [1] .

والدليل العام قوله تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴾ [2] وقال تعالى في سورة سبأ :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ، وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [3] .

ففي هذه الآية نفي ما يتعلق به المشركون من الملك ، والشريك ، والظهير ، والشفاعة بغير إذنه ، وقال تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [4] .

وقد ذكر السلف [5] أن هذه نزلت فيمن يعبد عزير [6] والمسيح ونحوهما ،

---

(١) الآيات : من (١ ـ ٩) من سورة الرحمن .

(٢) الآية : ٥٦ من سورة الإسراء .

(٣) الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ من سورة سبأ .

(٤) الآية : ٥٧ من سورة الإسراء .

(٥) قال بذلك الإمام الطبري عن ابن عباس ومجاهد قالوا هذه الآية : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ .. ﴾ الآية ، عيسى بن مريم وأمه و(عزير) .

(٦) قلت : وأخبر سبحانه عن اليهود فقال : ﴿ وَقَالَتِ اليَهُود : عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ﴾ قاله كبيرهم : =

ولفظة الذين من صيغ العموم ، وأما الدليل الخاص فقال سبحانه فيمن عبد الملائكة :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيّنَا مِنْ دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

فإن قيل قد كانوا يعبدون الملائكة فكيف قال يعبدون الجن ؟.

قيل : معنى يعبدون هنا : يطيعون الجن في عبادة الملائكة ، قال تعالى فيمن عبد موسى عليه السلام :

﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [2] . وقال تعالى (في عيسى والذين عبدوه) [3] :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلْنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [4] وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [5] . وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلا يَأْمُرَكُم أَنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالكُفْرِ بعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [6] .

☆ ☆ ☆

= فنحاص بن عازوراء . انظر تفسير الطبري ج ١٠ / ١١٠ وج ١٥ / ١٠٥ وأبي السعود ج ٢ / ٤٢ .

(١) الآيتان : ٤٠ ، ٤١ من سورة سبأ .

(٢) وردت هذه الآية في المخطوطتين هكذا (يا بني إسرائيل لا تغلوا في دينكم) والصحيح كما أثبتنا . انظر آية : ١٧١ من سورة النساء ، والآية : ٧٧ من سورة المائدة .

(٣) زيادة اقتضى السياق إثباتها ليستقيم المعنى .

(٤) الآية : ١١٦ من سورة المائدة .

(٥) الآية : ١٧ .

(٦) الآية : ٨٠ من سورة آل عمران .

الدرجة الرابعة

إن الإله هو المعبود بإجماع أهل العلم ، والدليل على ذلك ، قوله تعالى في سورة الزخرف :

﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ [1] ، يعني معبوداً يعبد في السماء ويُعبد في الأرض ، قاله قتادة [2] ، ولا يصح غيره ، وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام :

﴿ **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ** ﴾ [3] أي : إله معبود في السموات ، ومعبود في الأرض ، وقال تعالى في سورة الجاثية :

﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ [4] ، وقال في سورة (صٓ) حكاية عن قريش أنه لما قال ﷺ : « أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » فقال أبو جهل : لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها .

فقال رسول الله ﷺ : « قُولُوا لا إله إلا الله » [5] فتفرقوا من ذلك وقاموا ، وقالوا :

---

(١) الآية : ٨٤ من سورة الزخرف .

(٢) انظر تفسير الطبري ج ٢٥ / ١٠٤ فقد أخرج بسنده من طريقين عن قتادة .

(٢) الآية : ٣ من سورة الأنعام . (٤) الآية : ٢٣ من سورة الجاثية .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب ، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده وهم حوله يعني قريش جلوس ، وعند رأسه مكان فارغ ، فقام أبو جهل فجلس فيه ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي ما لقومك يشكون ؟ قال : « يا عم أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العَجم الجزية » قال : ما هي قال : « لا إله إلا الله » ، فقاموا وهم يقولون : ﴿ **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ** ... ﴾ وفي لفظ ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عُجَاب** ﴾ ج ٢٣ / ١٢٥ وذكره ابن كثير في تفسيره ج ٦ / ٤٧ وأخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم (٣٢٣٢) وقال حديث حسن صحيح .

﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ ذكر هذا البغوي [١] رحمه الله ، وقال سبحانه في سورة الزخرف :

﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً ﴾ [٢] ، وفي سورة الطور قال سبحانه :

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٣] ، وقال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤] ، وقال سبحانه :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [٥] ، وقال تعالى في سورة طه حكاية عن قول موسى لسامري :

﴿ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [٦] ، فلما عكف السامري على العجل صار إلهاً له بزعمه ، لأن العكوف عبادة له ، وقال تعالى في سورة البقرة :

﴿ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٧] ؛ أي : شركاء ، وقال ابن

---

(١) هذه الرواية ذكرها البغوي في تفسيره انظر تفسير ابن كثير والبغوي ج ٧ / ١٨٠ والآية هي : ٥ من سورة ص .

(٢) الآية : ٥٨ من سورة الزخرف .

(٣) الآية : ٤٣ .

(٤) الآيات : ١٣٨ ـ ١٤٠ من سورة الأعراف .

(٥) الآية : ٧٤ من سورة الأنعام .

(٦) الآيتان : ٩٧ ، ٩٨ من سورة طه .

(٧) الآية : ٢٢ من سورة البقرة .

مسعود وابن عباس : أكفاء من الرجال يطيعونهم في معصية الله ، وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾ [1] ، قال مجاهد عند قوله تعالى :

﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ [2] أي لا يخافون غيري [3] ، وقال في سورة براءة :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [4] ففي تفسير الآية عن عدي بن حاتم : « إن عبادتهم طاعتهم في المعصية » [5] ، قال أبو العالية ، ومنه قولهم : لا نسبق علماءنا :

« ما أحلوه حل وما حرموه حرم » [6] ، وقال سبحانه وتعالى :

---

(١) الاية : ١٦٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٥٥ من سورة النور .

(٣) أخرج الطبراني بسنده عن ليث عن مجاهد : قوله : ﴿ يَعْبُدونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ قال : (لا يخافون غيري) ج ١٨ / ١٦٠ .

(٤) الآية : ٣١ من سورة التوبة .

(٥) أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : أتيت إلى رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال : « يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك » ، قال : فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ قال : قلت : يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم ، فقال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ » قال : قلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » وأخرج الطبري أيضاً بسنده عن حذيفة ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ قال : لم يعبدونهم ، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي اهـ ؛ ج ١٠ / ١١٤ ، ١١٥ .

(٦) أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن أبي العالية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً ﴾ قال : قلت لأبي العالية : كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل ؟ قال : قالوا : ما أمرونا به =

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [1] لما حللوا لهم الميتة ، وقالوا ما ذبح الله حلال ، وفي تفسير قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [2] .

قال ابن جرير[3] : « يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله » ، وفي سورة الذاريات :

﴿ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [4] ، وقال تعالى في سورة الشعراء حكاية عن قول فرعون لموسى :

﴿ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ ﴾ [5] ، وقال في سورة ـ العقود ـ سورة المائدة :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [5] ، وقال فيها : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [6] ، وقال سبحانه :

﴿ مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . قَالَ

= ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم ...) ج ١٠ / ١١٥ .

(١) الآية : ١٢١ من سورة الأنعام .

(٢) الآية : ٦٤ من سورة آل عمران .

(٣) في تفسيره ج ٣ / ٣٠٤ : بسنده عن حجاج قال : (قال ابن جريج : ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يقول : لا يطع بعضنا بعضاً في معصية الله ، ويقال : إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم ، وقادتهم في غير عبادة ، وإن لم يصلوا لهم) . اهـ .

(٤) الآية : ٥١ من سورة الذاريات .

(٥) الآية : ٢٩ من سورة الشعراء .

(٦) الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ من سورة المائدة .

أَتَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَـا لا يَمْلِـكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعـاً وَاللهُ هُـوَ السَّمِيـعُ العَلِيم ﴾[1] .

ففي هذه الدرجة تعريف الإلـه ، وأنـه المعبود ، وقيل : هو الـذي يطـاع محبـة وخوفـاً ورجـاءً وتوكـلاً ، وهـو اسم صفـة لمن يُعبـد ، ومن أعظم أنـواع العبادة الدعاء ، والمحبة ـ كحب الله ـ وأما[2] الطـاعـة في المعصيـة ، والعكوف فيها فإنه يكفر من يسمي الله غير الله أو قال :

﴿ **ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** ﴾ فإذا عَبَدَه ولم يسمه إلهاً وسماه نبياً ، أو صالحاً أو وليـاً أو إماماً ، أو شجراً أو حجراً ، فالأسماء لا تغير المعاني عن حقيقتهـا ، كما لو يسمى الخمر لبنـاً ، وقصـة ذات أنواط فيهـا البيـان التـام ، فـإنهم لم يسموهـا إلا ذات أنواط ، ولم يقولوا صريحاً اجعل لنا إلهاً ، فقال عليه السلام :

« إنها السنن »[3] ، قلتم كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ **اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَـا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾[4] رواه الترمذي . وكذلك عابد الشيء يسمى عبداً له بـدليل الحـديث الصحيح . .

« تعس عبـد الـدينـار »[5] إلى آخره فبسبب التعلـق بـه أطلـق عليـه اسم

---

(١) الآيتان : ٧٥ ، ٧٦ من سورة المائدة .

(٢) في الأصلين (والطاعة) والصواب ما ذكرنا ليستقيم المعنى والله أعلم .

(٣) قلت : ولفظ الحديث عند الترمذي : عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر ، مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط ، يعلقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي ﷺ : « سبحان الله هـذا كما قـال قوم موسى : اجعل لنـا إلهاً كمـا لهم آلهة ، والذي نفسي بيده ، لتركبن سنّة من كان قبلكم » قال الترمـذي هـذا حـديث حسن صحيح أخرجه في كتاب الفتن حديث (٢١٨٠) .

(٤) الآية : ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٥) قلت : وهذا أخرجه البخاري في صحيحه في كتـاب الجهـاد : عن أبي هريرة (رضي الله عنـه) عن النبي ﷺ قال : « تعس عبد الـدينـار وعبـد الـدرهم ، وعبـد الخميصـة ، إن أعطي رضي وإن لم =

العبودية ، وقد قال ابن العربي المالكي : إن الأحكام ، تعلق بمسميات الأسماء لا بألقابها ، ولا بالتسمية . وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء :

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يَنشُرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ . أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُم لا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [١] .

☆ ☆ ☆

= يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، وطوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إذ استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » فتح الباري حديث (٢٨٨٧) وأخرجه ابن ماجه حديث (٤١٣٦) .

(١) الآيات : ٢١ ـ ٢٤ من سورة الأنبياء .

الدرجة الخامسة

إن الدعاء من العبادة ؛ بل هو مخها ، ورأسها ، وأفضلها ، وفي الحديث :

« أكرم شيء على الله الدعاء » [١] . وورد « أفضل العبادة الدعاء » أخرجه الحاكم وصححه [٢] .

وورد « الدعاء هو العبادة » أخرجه الترمذي [٣] ، وهذا يدل على الحصر أي حصر الخبر في المبتدأ ، لأجل الفصل بينهما بالضمير ، فإن دلت قرينة على عدم الحصر ، فيكون للتميز بأفضلية ما ، وللمبالغة والاهتمام بشأن الشيء ، وقد سبق : « إن معنى العبادة التوحيد ، والدعاء عبادة » [٤] .

فدعاء غير الله شرك ومن الأدلة على ذلك ، قوله تعالى :

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات بلفظ : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » عن أبي هريرة حديث (٣٣٧٠) وقال حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب الدعاء عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ كما أخرج عن ابن عباس في الباب بلفظ : « أفضل الدعاء هو العبادة » قلت:وهذه الرواية موقوفة على ابن عباس فذكرت رواية النعمان عن رسول الله ﷺ وكلاهما صحيحتان كما أقر الذهبي صحتها . المستدرك ج ١ / ٤٩١ .

(٣) أخرجه الحاكم آنفاً ، وأخرجه الترمذي عن النعمان في كتاب الدعوات حديث (٣٣٧٢) وفي كتاب التفسير حديث (٣٩٦٩) وقال عن الحديثين : هما حديثان حسنان صحيحان ، وأخرجه أبو داود حديث (١٤٧٩) وابن ماجه حديث (٣٨٢٨) والإمام أحمد في مسنده ج ٤ / ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ .

(٤) قلت : عدد شيخ الإسلام المجدد في رسالته (الأصل الجامع لعبادة الله وحده) أنواع العبادة ، وجعل الدعاء هو أول أنواعها ، ثم قال : ودليل الدعاء قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلا فِي ضَلالٍ ﴾ آية : ١٤ من سورة الرعد . انظر مجموع مؤلفات الشيخ ج ١ / ٣٧٩ عقيدة .

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١] ، فقد جمع في هاتين الآيتين دعاء العبادة ودعاء المسئلة ، وإنهما مختصتان بالله تعالى ، وفي سورة البقرة قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ [٢] وسبب النزول يبين أن الدعاء هو النداء والمسألة ، لأنهم قالوا : « هل ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه » [٣] ؟.

فنزلت الآية الكريمة ذكره في تفسير الجلالين [٤] . وقال في سورة الإسراء :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ [٥] وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما [٦] . قال : سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يقول : « يا الله يا رحمن » فقال أبو جهل إن محمداً ينهانا عن آلهتنا ،

---

(١) الآيتان : ٥٥ ، ٥٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآية : ١٨٩ من سورة الأعراف .

(٣) أخرج الطبري في تفسيره عن الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سأل النبي ﷺ فقال : يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ ج ٢ / ١٥٨ ، قلت : وهذا جواب من الله عز وجل ، وهو سبب نزول الآية .

(٤) انظره فقد أوضح ذلك فيه ج ١ / ٢٧ .

(٥) الآية : ١١٠ من سورة الإسراء .

(٦) أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ ساجداً يدعو : « يا رحمن يا رحيم » فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحداً ، وهو يدعو مثنى مثنى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ ، أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ .. ﴾ الآية ، ج ١٥ / ١٨٢ وأخرجه ابن كثير في تفسيره عن الإمام أحمد وقال أخرجاه في الصحيحين ج ٣ / ٦٨ ، ٦٩

وهو يدعو إلهين [1] ، فأنزل الله هذه الآية .

والنظر في أسباب النزول محط أنظار أرباب العقول ، وفي سورة نوح :

﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إلا فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ** ﴾ [2] الآية .

فهذه نصوص صريحة ، أن الدعاء عبادة وأنه النداء ، وأنه المنهي عنه ، وأن المنادى يكون إلهاً للمنادي ، وأن ذلك شرك وقد قال سبحانه وتعالى :

﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ [3] ، وقال سبحانه :

﴿ **قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ [4] ، وقال تعالى في سورة الأعراف :

﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوا اللهَ رَبَّهُمَا** ﴾ [5] إلى قوله : ﴿ **جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [6] ، ففيه أن الدعاء :

﴿ **لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [7] ، وهنا الشرك في مجرد التسمية ، وهنا يقال أشركا في طاعته لا في عبادته ، وتكريرنا الاستدلال على

---

(1) قال الطبري إنما قيل ذلك له ﷺ ، لأن المشركين ، فيما ذكر سمعوا النبي يدعو ربه : « يا ربنا يا الله ، ويا ربنا يا رحمن » فظنوا أنه يدعو إلهين ..) ج ١٥ / ١٨٢ .

(2) الآيتان : ٥ ـ ٧ من سورة نوح .

(3) الآية : ١ من سورة الأنعام .

(4) الآيات : ٩٦ ـ ٩٨ من سورة الشعراء .

(5) الآية : ١٨٩ من سورة الأعراف .

(6) الآية : ١٩٠ من سورة الأعراف .

(7) الآية : ١٨٩ من سورة الأعراف .

أن الدعاء هو النداء ، لأن أهل التفاسير يحملون الدعاء على أحد خمسة معانٍ بحسب المقام عند كل آية .

وأصل الدعاء في اللغة الإيمان ، وفي القاموس ، الدعاء : الرغبة إلى الله ، وعُرف بأنه رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات [1] .

وقد ورد الوعيد الشديد في ذم من سأل الناس من أموالهم ، خصوصاً إذا كان معه ما يكفيه ، أو ما يعشيه أو يغديه [2] فكيف بمن يسأل الأموات قضاء الحاجات ، قال سبحانه :

﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٍ** ﴾ [3] ، وقال سبحانه وتعالى في سورة الجن :

﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً** ﴾ [4] ، وقال في سورة الأحقاف :

﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [5] ، وقال تعالى في سورة يونس :

﴿ **وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنْ الظَّالِمِينَ** ﴾ [6] ، وقال في سورة المؤمنون :

﴿ **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ** ﴾ [7] .

---

(١) انظر مادة دعا في لسان العرب .
(٢) يعني : يؤمن له طعام العشاء وطعام الغداء .
(٣) الآية : ٥٣ من سورة فصلت .
(٤) الآية : ١٨ من سورة الرحمن .
(٥) الآيتان : ٥ ، ٦ من سورة الأحقاف .
(٦) الآية : ١٠٦ من سورة يونس .
(٧) الآية : ١١٧ من سورة المؤمنون .

وقال في سورة العنبكوت :

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعوُا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] ، ففيهم من الآيات أن من دعا غير الله يكون ضال ظالم مشرك كافر ، وهذه اللام لام للعاقبة أي عاقبة شركهم ، الكفر والتمتع . فإن قيل : إن الداعي إنما أراد التقرب إلى الله بدعوته والشفاعة إلى الله .

فالجواب : إن هذا عين ما أراده المشركون . بدليل قوله تعالى :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ ﴾ [2] وفي الآية الأخرى : ﴿ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ [3] ، وختم الآية الأولى بقوله :

﴿ إِنَّ اللهِ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [4] ، وختم الثانية بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [5] ، فإن قيل : إنهم يظنون أنهم على هدى لا أنهم على ضلالة .

فالجواب : قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُون . فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةَ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [6] .

---

(١) الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ من سورة العنكبوت (٢) الآية : ٣ من سورة الزمر .

(٣) الآية : ١٨ من سورة يونس . (٤) الآية : ٣ من سورة الزمر .

(٥) الآية : ١٨ من سورة يونس . (٦) الآيتان : ٢٩ ، ٣٠ من سورة الأعراف .

ففيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق هو والجاحد المعاند سواء ، وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما (القسط)[1] هنا بألا إله إلا الله وفسره الضحاك بالتوحيد ، وقال سبحانه :

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[2] ، وفي تفسير البغوي عند قوله تعالى في سورة يونس :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[3] .

قال : أي أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا إلا الله ولم يدعوا أحداً سوى الله تعالى . انتهى .

ففيه : أن الدعاء هو الدين ، والإخلاص فيه هو التوحيد ودعوة غير الله شرك[4] .

فإن قيل : إن الدعاء لغير الله يكون من الشرك الأصغر مثل الطيرة والحلف بغير الله لأنه قد ورد أنها شرك وفسروها بالأصغر .

---

(١) قال المفسرون إن القسط هو : العدل ، وأخرج الطبري بسنديه عن مجاهد والسدي ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ ﴾ قالا : بالعدل . ج ٨ / ٥٥ . وقال الشوكاني : وقيل معنى القسط : لا إله إلا الله ج ٢ / ١٩٩ .

(٢) الآيتان : ٣٦ ، ٣٧ من سورة الزخرف .

(٣) الآية : ٢٢ من سورة يونس .

(٤) قلت : نعم شرك أكبر والدليل قوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلا فِي ضَلَالٍ ﴾ الرعد آية : ١٤ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ النساء آية : ١١٦ .

فالجواب : إن الحلف يكون تارة من الأكبر إذا قصد به تعظيم المخلوق كتعظيم [1] الله ، وأيضاً لا مساواة لأن الحلف والطيرة لم يقع النهي عنهما إلا بعد مدة الإسلام ووقع من الصحابة بعد إسلامهم كالمشرك بالنوء [2] أيضاً .

وأما الدعاء لاعتقاد النفع والضر من المدعو من دون الله لقضاء الحاجات ، وإغاثة اللهفات ، وشفاء المريض ، وقضاء الغرض ، فهو الذي كان عليه المشركون ، وهذه عبادتهم وشركهم ، والعكوف والذبح ونحوهما فروع هذه المطالب ، ونتيجة إشكال دعوة الميت [3] والغائب يجعلوا منهم وسائط بينهم وبين الله ، والوساطة في هذا منتفية ، وفيها تشبيه للخالق وهي شرك محض .

---

(١) أقول : إن الحلف بغير الله شرك لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » أخرجه الترمذي عن ابن عمر وقال حديث حسن (١٥٣٥) وأخرجه النسائي في الإيمان والدارمي في النذور . ومما يحرم الحلف به كقول الحالف : وأبي أو وحياتك أو وحياة النبي أو بالأمانة وأشباه ذلك من الحلف الكاذب المخالف لشرع الله أما المباح فهو أن تقول : والذي نفسي بيده أو ورب البيت أو والله العظيم أو أقسم بالله وغير ذلك مما يوافق الكتاب والسنّة .

(٢) النوْء : النجم .

(٣) قلت : أما ما يفعله الجهال من العامة الذين لا علم لهم بشرع الله ويشاهدهم علماء بلدانهم ممن يدعون العلم ، ويكتمون ما أنزل الله في الكتاب الكريم وما قاله الرسول الأمين ﷺ ، بل وإن من علمائهم من يقوم هو بفعل الجهال وذلك مما شاهدناه وعلمناه في البلاد العربية والإسلامية من أعمالهم الشركية الكفرية وهي : دعاء الأموات والاستغاثة بهم ، والتوسل والتمسح بقبورهم وبالأحجار والطواف على قبورهم والذبح لهم والاعتقاد فيهم والنذر لبعضهم إذا شفي مريضه أو نجح المخفق في درسه ، فإن قيل : في أي البلاد شاهدتم وعلمتم ، فالجواب :

في مصر ، حيث قبر الحسين كما يدّعون ، علماً أن ادعاءاتهم باطلة لا أساس لها من الصحة وليس من الحسين في مصر حتى الأظفر ، ولو صدقوا إن رأس الحسين في القاهرة لقلنا لهم إذاً فما هو الحسين ابن علي الذي في أسيوط أيضاً ، وكذا قبر السيدة : زينب وقبر السيد : البدوي في طنطا والسيد : الطوخي في بلدة طوخ ـ محافظة القليوبية ـ ، والسيد : عبد القادر ، الذي لا أصل له عندهم ، وأبو مسلم ، وأبو خليل وغيرهم .

وفي اليمن : حيث السيد : الزيلعي **المعروف عندهم** بـ (الشمس) ، وعبد القادر وعدد من السادة =

والبعث والدعوة لتوحيد الإلهيــة وهي : العبادة وأن تكون كلها لله وهـذا هو المراد عند القول :

إن دعاء غير الله شرك أكبر ، ومن قال لا إله إلا الله ودعا غير الله على ما ذكرنا فقد هدم مبناه ، ونقض ما قاله ونفاه ، ولم تصح بينتـه على دعواه والـدعـاوي مـا لم يقيموا عليهـا بينـات أبنـاؤهـا أدعيـاء ، والله سبحـانـه يقول في سورة يـونس:

﴿ أَلا إِنَّ للهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ومَـا يَتَّبِعُ الَّـذِينَ يَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاء إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ ﴾ (١) .

☆ ☆ ☆

= في تعز منهم علوان أو في بيت الفقيه وفي مخا وآب وغيرها وفي الجنوب في الضـالع وفي لحج وفي المكلا وغير ذلـك.

وفي الصومال : قبر يوسف ذو الكونين في مدينة هرجيسة ، وذو النورين في برادة ، وفي سوريـا وفي العراق وفي إيران حدث ولا حرج ، وفي البـاكستـان : قبر بهـاء الـدين زكريـا ، ـ في ملتـان ـ وشهبازقلندر ـ في سند وإمام بري ـ في راولبندي ـ ، وبابا فريـد شكركنج ـ بنجـاب ـ ، وعلي هجو يري ، ـ المعروف بـ (داتاكنج بخش) ـ لاهور ، وفي الهنـد : قبر خواجـة نظـام الـدين أوليـار ـ في دلهي ومئات من سواه لا يحضرني الآن ذكرهم .

عند كل هذه القبور ، يقوم الناس بالـذبح والنـذور والـدعـاء وإضـاءة الأسرجـة ويطلبون منهم الوساطة بينهم وبين ربهم في شفاء مرضاهم ودفع الأضرار عن ممتلكاتهم وأنفسهم ، وأقول لهم جميعاً اتقوا الله الذي خلقكم من ماء مهين ، فهو الـذي بيـده الحيـاة والموت وهو الرزاق وهو رب الأربـاب وهو الأول والآخر والظاهر والقاهر له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، منـه الخير والعفو والعـافيـة وإليـه المصير فهو المستحق أن يُسأل ولا يُسـأل غيره أبـداً ، وإن أعمـالهم كفر وشرك عظيم ، من مـات وهو عليها فهو في النار خالداً مخلداً لا يغفر الله له ، ودليله قولـه عز وجل : **﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾** وقوله : **﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْـهِ الجَنَّـةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾** سورة المائدة آية : ٧٢ ، ومن تاب وآمن ورجع إلى الله وندم على مـا كان يفعله وكره أن يعود فيه فـإن الله قـال : **﴿ وَمَنْ تَـابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَـالِحـاً فَـأُولَئِـكَ يُبَـدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾** الفرقان آية : ٧٠ .

(١) الآية : ٦٦ من سورة يونس .

الدرجة السادسة

في بيان أن هذا كفر وشرك أكبر يحل الدم والمال ويخلد صاحبه في النار إذا بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة ، وأبى وعاند مصراً على شركه معلناً بكفره [1] .

إذا كان من الأكبر الذي لا يُغفر فأما أنه شرك وكفر فلأن لفظ الشرك ومعناه هو أن تعبد غير الله مع الله وهذا هو الواقع ، ولفظ الكفر هو الجحود والتكذيب بما عُلم بمجيء الرسول ﷺ به ضرورة فهذه الأسماء والمسميات بينهم ما بين الأمهات والبنات ، وقد ذكر ابن هشام في السيرة إنما كانت عبادة المشركين العكوف والدعاء ونحوهما من الذبح والطواف .

وفي زاد المعاد لابن القيم رحمه الله في المغازي في فصل قدوم وفد خولان [2] وهم عشرة أنهم قال لهم رسول الله ﷺ : « ما فعل عم أنس ؟ » - وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه - قالوا : شر بدّلنا الله به ما جئت به ، وقد بقيت منا بقايا من شيخٍ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ، ولو

---

(١) إن المشركين الذين هم يعاندون ويصرون على شركهم ويعترضون على ما جاء به الرسول ﷺ ليصدون الناس عن شرع الله ، كانوا يقولون نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه الخالق ، الرازق ، النافع الضار وأنه لا شريك له ، ويعترفون بذنبهم ، لكنهم يقولون إن الصالحين لهم جاه عند الله ويطلبون منهم الشفاعة فإن هؤلاء هم الذين قال الله فيهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَب ﴾ الإسراء آية : ٥٧ وقد قاتلهم الرسول على ذلك ، فبكفرهم وشركهم هذا حل قتالهم وأموالهم .

وقد ظهر في الجزيرة العربية مثلهم يعملون بأعمالهم تلك ، فقيض الله لها ولمقدساته شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فقاتلهم ، غير أنه لم يكن يستطيع إلا بقوة تعينه على ذلك ، فتعاهد مع الإمام محمد بن سعود رحمهم الله جميعاً على قتال من عاند وأصر على شركه ذلك فشاع نور الدعوة وقضى على الشرك وأهله ، فعاد التوحيد لهذه الجزيرة وعادت لها قدسيتها ، بفضل الله ثم بفضل الشيخ المجدد والإمام العادل .

(٢) انظر السيرة لابن هشام وزاد المعاد ج ٣ / ٥٩ طبعة الحلبي عام ١٣٩٠ هـ .

أقدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله ، وقد كنا منه في غرور وفتنة .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما أعظم ما رأيتم من فتنته ؟ » قالوا :

لقد رأيتنا وقحطنا حتى أكلنا الرومة ، فجمعنا ما قدرنا عليه ، وابتعنا به مائة ثور ، ونحرنا لعم أنس قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها تردها السباع ، ونحن أحوج إليها من السباع ، فجاءنا الغيث من ساعتنا ، ولقد رأينا الغيث يواري السباع ويقول قائلنا : أنعم علينا عم أنس .

وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقيمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم ، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً له وجزءاً لله بزعمهم إلى آخر القصة .

وفيها : وكنا نتحاكم إليه . انتهى .

وقد ذكر قطرب في قوله تعالى :

﴿ **وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ النُّصُبِ** ﴾ [1] إن (على) بمعنى اللام أي وما ذبح لأجل النصب ، فإن جادل مجادل وأنكر منكر وكابر مكابر في هذا الأمر الظاهر فقل له بيّن لي الشرك ما هو وما الذي حرمه الله تعالى ونهانا عنه ، وما الذي كان يعبد به المشركون أصنامهم المنقوشة وأنصابهم المنصوبة وغيرها من معبوداتهم ؟

فإنه لا يجد جواباً أبداً إلا أن يقول إنه عبادة الله وعبادة غيره إما بدعاء أو بالذبح أو بغيرهما من العبادات ، وأصح الشهادات ما شهدت به الأعداء . أو يقول : لا أدري .

فقل له : تنكر ما لا تعرف وتجحد ما لا تدري ، وكذلك تقول له في العبادة التي فرض الله علينا وأمرنا بها وخلقنا لها وهي حقه علينا ومستحقه

---

(١) الآية : ٣ من سورة المائدة .

لدينا ، إن صرفناها إليه وعبدناه بها كنا من الموحدين وإن صرفناها لغيره وعبدناه بها صرنا من المشركين [1] .

فإن عرفها وبينها وإلا فبيّن له ذلك بأقسامها من الاعتقادية والقولية والفعلية والبدنية والمالية ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ [2] .

والطغيان منها أن لا يشك فيها ولا يرتاب ولا يتكبر ولا يجور ولا يستخف بها ، وأن تحجزه عن المعاصي وأن يقولها مخلصاً من قلبه ، وقد ورد : احفظوا العلم بقيوده [3] .

بل أئمة المذاهب الأربعة قد صرحوا بوجوب قتال مانع الزكاة أو تارك الصلاة [4] بل تارك الأذان وصلاة العيدين لأنها من شعائر الإسلام .

بل نقل بعضهم الإجماع على قتال طائفة ممتنعة عن فريضة من الفرائض المشهورة .

وذكر النووي في شرحه على الأربعين : أن الواحد كذلك مع أنه يدخل في اسم الطائفة .

---

(١) سبق أن بينا ذلك وبسطناه آنفاً فلينظر .

(٢) الآية : ٨١ من سورة الإسراء .

(٣) لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « قيدوا العلم بالكتاب » أخرجه ابن المؤمل في المستدرك ج ١ / ١٠٦ وفي مجمع الزوائد ج ١/ ١٥٢ وفي سنن الدارمي ج ١ / ١٢٣ وفي جامع بيان العلم وفضله ج ١ / ٧٢ وفي تقييد العلم للخطيب البغدادي : ٦٩ .

(٤) لما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله » فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً =

وفي الحديث عن بريدة بن حصين في وصيته ﷺ للغزو قال :

« اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله » أخرجه أبو داود [1] والله يقول لخير الخلق أجمعين :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانَاً لِكُلّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [2] .

☆ ☆ ☆

= كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه .. » الحديث فتح الباري رقم (٧٢٨٤ ، ٧٢٨٥) . وأخرجه مسلم في الإيمان وغيره .

(١) أخرجه أبو داود عن سليمان بن بريدة عن أبيه : أن النبي ﷺ قال : « اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً » كتاب الجهاد حديث (٢٦١٣) .

(٢) الآية : ٨٩ من سورة النحل .

لذا قيل : هذه الآيات أُنزلت في المشركين عباد الأصنام المحاربين لله ولرسوله ﷺ فلا تكون في غيرهم ولا تشتمل على سواهم .

فالجواب : إن الجامع بين المشركين من الأولين والآخرين موجود وهو الشرك . فالحكم في ذلك واحد . لا فرق فيه لعدم الفارق ووجود الجامع ، وفي الحديث :

« حكمي على الواحد كحكمي على الجماعة »[1] وفي أصول الفقه : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ويلزم من هذا الاعتراض أن يقال : كل حكم نزل على سبب مخصص في قضية سالفة فهو لا يتعداها إلى غيرها . وهذا باطل وتعطيل لجريان الأحكام الشرعية على جميع البرية . فإن آيات الحدود والجنايات والمواريث والديات نزلت في قضايا قد مضت ومضى أهلها الذين نزلت فيهم وحكمها عام إلى يوم القيامة ، لأن العام لا يقصر على السبب وخطابات الشرع تتعلق بالمكلف المعدوم تعلقاً معنوياً ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في مثل ذلك فيما نزل على بني إسرائيل وأنه علينا مثلهم فقال : ما أشبه الليلة من البارحة[2] . وقال بعضهم الأخوة بنو إسرائيل . إذا كان كل حلوة لكم وكل مرة لهم .

وفي الأصول الفقهية أن شرائع من قبلنا شرائع لنا عند الثلاثة[3] .

(١) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة برقم (٤١٦) وقال : ليس له أصل كما قال العراقي في تخريجه ، ثم قال وللترمذي والنسائي نحو حديث أميمة .. إلخ قلت : أخرجه الترمذي في السير حديث (١٥٩٧) وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، قلت : وهو شاهده ، وذكره في كشف الخفاء ومزيل الألباس حديث (١١٦١) .

(٢) هذا مثل من الأمثال العربية ؛ ذكره النيسابوري الميداني في مجمع الأمثال برقم (٣٨٣١) .

(٣) هم أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل ، (رحمهم الله) .

وعند الشافعي أنه شرع لنا إذا ورد تقريره في شرعنا ، وهذه المسائل ورد شرعنا في تقريرها ، ونطق القرآن والسنة بتكريرها ، وإنما هذا جواب عن السؤال وإلا فما نهى عنه ﷺ مشركي العرب وقاتلهم عليه ونزل القرآن فيه آيات محكمات غير منسوخة للأول والآخر ، بل والآيات النازلة فيمن قبلنا من الأمم مع أن شرعنا وسنّة نبينا ﷺ أغنت واقتنت وكفت وشفت وأعادت وأيّدت وأظهرت ومضت . فلله الحمد رب السموات ورب الأرض ورب العالمين . وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

وفي تفسير آخر البقرة أنهم قالوا : أكلفنا من العمل ما لا نطيق .

فقال ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال من قبلكم سمعنا وعصينا » (١) فشبه ما قالوا من الكلام بقول من سلف من الأنام .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا رأى مخيلة تغير وجهه وتلون ودخل وخرج وأقبل وأدبر ، فإذا أمطرت السماء سري عنه ، قالت فذكرت له الذي رأيت فقال :

« وما يدريك لعله كما قدم فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا » (٢) .

والله سبحانه قد بيّن لنا الأحكام وفسر لنا الحلال والحرام ، وأحاط

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وهو حديث طويل بلفظ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ، سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » الحديث ، انظر مسلم بشرح النووي ج ٢ / ١٤٥ .

(٢) علقه البخاري ولم يخرجه وقال : باب ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِم قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ، رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ قال ابن عباس : عارض السحاب » انظر فتح الباري باب ٢ من تفسير سورة الأحقاف ج ٨ / ٥٧٨ . وأخرجه الترمذي في جامعه كتاب التفسير حديث (٣٢٥٧) عن عائشة بلفظ وما أدري لعله كما قال : ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ ..** ﴾ الآية .

الشريعة المحمدية بدقائق العلوم واشتملت على الفروع والأصول بالمنطوق والمفهوم ، وقد تَرَكَنَا ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وما طار طائر في الجو إلا جعل لأمته منه ذكراً ، وقد أفادت السنّة بكيفية الاستجمار بالأحجار كيف وصفها ، بل في سنن أبي داوود في آداب التخلي قولهم : « لقد علّمكم نبيكم حتى الخراءة » [١] .

فما بالك أيها الإنسان بمسألة عظيمة مهمة ، لأجلها أُعدت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ، لا يبيّنها ويوضحها ويشرحها .

كلا والله لقد بلّغ البلاغ المبين صلى الله وسلم عليه صلاة دائمة إلى يوم الدين ، وكتب المغازي والسير تدل على ذلك ، وأن هذا الذي قاتل عليه النبي ﷺ المشركين وحاربهم عليه ، ولم تكن عبادتهم للأصنام وبحقها إلا الدعاء والتعلق والاعتقاد فيهم والالتجاء إليهم والعكوف عندهم . وأما أنه يخلد صاحبه في النار فالدليل قوله تعالى :

﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله** ﴾ [٢] إلى قوله : ﴿ **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ [٣] ، وقال سبحانه وتعالى :

﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** ﴾ [٤] ، وأما الدليل على القتال فقوله تعالى :

﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ**

---

(١) قلت : أخرجه الترمذي في أبواب الطهارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال : (قيل لسلمان : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان : أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن نستنجي باليمين أو أن يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيع أو عظم) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح (١٦) .

(٢) الآية : ١٦٥ من سورة البقرة .

(٣) الآية : ١٦٧ من سورة البقرة .

(٤) الآية : ٧٢ من سورة المائدة .

وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [1] قال الحسن بن الفضل : هذه الآية نسخت كل آية فيها الإعراض والصبر على الأذى من الأعداء ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا ﴾ أي : عن الشرك والكفر . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ ﴾ [2] أي : وحده لا يُعبد غيره ، وقيل : أي يكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه ، وفي تفسير الجلالين [3] : إن الفتنة هنا هي الشرك . وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [4] وفي الصحيح :

« أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » [5] قال النووي رحمه الله : قال الخطابي :

فمعلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف .

---

(١) الآية : ٥ من سورة التوبة .

(٢) الآية : ١٩٣ من سورة البقرة .

(٣) قلت وقاله أيضاً الطبري في تفسيره ج ٢ / ١٩٤ ثم أخرج بسنده عن ابن عباس قوله ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ يقول : « قاتلوا حتى لا يكون شرك » ، وبمثله أخرج بسنده عن السدي ومجاهد والربيع وقتادة . وفي تفسير الجلالين ج ١ / ٣٢ .

(٤) الآية : ٣٦ من سورة التوبة .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه حديث (٢٥) فتح الباري ، ومسلم في صحيحه ج ١ / ٢١٢ بشرح النووي عن ابن عمر ، وأبو داود حديث (١٥٥٦) عن أبي هريرة ، وفي كتاب الجهاد أيضاً حديث (٢٦٤٠) والترمذي حديث (٢٦١٠) والنسائي ب « ١ » من الجهاد وفي الزكاة ، وابن ماجه حديث (٣٩٢٧) وأحمد في مسنده ج ١ / ١١ ، ج ٢ / ٢١٤ والطبراني في الكبير حديث (١٧٤٦) و (٢٣٩٢) وغيرهم من أصحاب السنن .

وذكر القاضي عياض رحمه الله أن اختصاص عصمة النفس والمال بمن قال لا إله إلا الله تعبيراً عن الإجابة والإيمان ، وهذه فائدة عظيمة فاستفدها ، وفي الأحاديث النبوية قيود وشروط لفوائد لا إله إلا الله إذا تأملها الإنسان خاف على أهل الإيمان فضلاً عن أهل الشرك [1] .

﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] .

أخرج الحديث البغوي بمسنده ومثله في صحيح البخاري وقاله الإمام ابن القيم رحمه الله في مبحث الشرك الأكبر الآية التي في سورة سبأ :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِن ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَة عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَه ﴾ [3] .

والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ويظنونه بقوم خلوا ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، كما قال عمر رضي الله عنه « إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » [4] . وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [5] .

☆ ☆ ☆

---

(١) أما تعليق النووي والخطابي فيمكنك النظر إلى شرح مسلم للنووي ج ١ / ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) سبق تخريجه في ص .

(٣) الآية : ٢٢ من سورة سبأ ، انظر تفسير ابن القيم ص ٤٠٧ .

(٤) ذكره ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى ، انظر ج ١٠ / ٣٠١ وما قاله حول هذا الأثر .

(٥) الآية : ٥ من سورة التغابن .

الدرجة الثامنة

في ذكر من قال إن هذا شرك يحل الدم والمال ويوجب الحرب والقتال بعد قيام الحجة وبلوغ الدعوة ووصول العلم وظهور الكفر منه ، وهذه الأشياء قيود وشروط لما أطلقه في هذا المبحث ولا تكفير بالظن أيضاً ، فالعلم بالاستقصاء غير ممكن ، وليس بعد كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ كلام يطلب الاستدلال ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلا الضَّلالِ ﴾ [1] ومن أصدق من الله حديثاً ، والسنّة النبوية هي الحجة عند النزاع ، والمراد إذا تنازعت الأشياع فمن استدل بها واعتمدها فقد أفلح ، ومن استعملها ووزن بها فميزانه الأرجح . قال تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [2] وقد سمعت ما مر من الآيات البينات والأحاديث الواردات .

وإذا البينات لم تغن شيئاً ... فالتماس الهدى بهن عياء

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء ؟ لكن سنذكر من كلام العلماء ما يدل أنهم ورثة الأنبياء ومصابيح الظلماء ، فأولهم صدّيق هذه الأمة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فإنه قال في قتال أهل الردة :

(لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . بل قال : لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه) [3] .

ولما كفر من كفر من العرب في خلافته قاتلهم عليه واستحل دماءهم وأموالهم ، بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم فصار إجماعاً ، وأكبر شيء في

---

(١) الآية : ٣٢ من سورة يونس .

(٢) الآيتان : ٣ ، ٤ من سورة النجم .

(٣) بسطنا تخريجه في ص ٥٧ فلينظر هناك

ردتهم على تنوعها ، قولهم إن مسيلمة الكذاب نبي ، فكيف بمن قال إن غير الله إله يعبد أو عبده أو اعتقد فيه الإلهية وجعله متصفاً ، وإن لم يقلها بلسانه ، ووافق عمر رضي الله عنه على قتال من فرق بين الصلاة والزكاة بعد أن توقف منهم [١] ، ثم ظهر الدليل فسلكوا سواء السبيل .

وقال بكفر تارك الصلاة جماعة من الصحابة والتابعين ، ففي كتاب الترغيب والترهيب للمنذري [٢] عن ابن حزم أنه جاء كفر تارك الصلاة عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة .

قال المنذري [٣] : وقد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير تارك الصلاة متعمداً حتى يخرج وقتها ، منهم ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ، ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل وإسحاق وابن المبارك هذا في تركها [٤] .

وقد صنف القحيطي في ذلك مؤلفاً [٥] ، وأما جحودها فكون ذلك كفر ، فمسألة وفاق بين العلماء فكيف بمن ترك التوحيد أو جحد حق الله على العبيد

(١) قلت : وذلك بعد أن أقسم أبو بكر أن يقتلهم قال البخاري ومسلم : فقال عمر بن الخطاب : « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق » حديث (٧٢٨٥) ومسلم في ج ١ / ٢٠٩ وغيرهم .

(٢) فيما أخرجه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وفي رواية لمسلم وأحمد : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » وعن بريدة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . الترغيب ج ١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩.

(٣) انظر الترغيب ج ١ / ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٤) انظر المصدر السابق ص ٣٩٥ .

(٥) لم أقف عليه ولكني أقول ألف ابن القيم رحمه الله كتاباً أسماه (كتاب الصلاة وحكم تاركها) ساق فيه وأثبت وصحح ما روي في هذا الشأن من الأحاديث وهذا الكتاب في المكتبات . فلينظر .

أو جعل المخلوق في مرتبة الخالق وشبه بالشرك والتنديد .

وقد ورد الوعيد الشديد فيمن تكلم بالكلمة من سخط الله لا يرى لها بأساً - وفي رواية لا يريد بها بأساً - لا يتبين فيها ولا يظن أن تبلغ به ما بلغت [١] . فيفطن لها فإنها مفيدة ، بل في قصة غزوة تبوك أن الذين تكلموا بالكفر ونزل فيهم قوله تعالى : ﴿ **لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [٢] أنهم اعتذروا بالمزح والخوض واللعب ولم يعذروا ، ونزل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [٣] .

وقد حكم الصحابة بكفر من استحل الخمر متأولاً قوله تعالى :

﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** ﴾ [٤] ومن أولئك قدامة بن مظعون [٥] لكنهم تابوا ورجعوا عمّا تأوّلوه . كما وقع

(١) وأخرج المنذري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس » رواه الترمذي والطبراني والحاكم والبزار وابن حبان ، انظر الترغيب ج ٣ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

قلت : وقال العلماء : (تارك الصلاة إن جحد وجوبها فهو كافر بالإجماع ، وإن أقر بوجوبها وامتنع عن فعلها حداً لا كفراً وفقاً للشافعي) انظر الأم ج ١ / ٦١ طبعة الشعب . وقال أحمد يقتل كفراً . انظر المقنع لابن قدامة ج ١ / ٩٦ ، وقال ابن تيمية : « أما تارك الصلاة فهذا إن لم يكن معتقداً لوجوبها فهو كافر بالنص والإجماع » وقال أيضاً : « من يمتنع عن الصلاة المفروضة فإنه يستحق العقوبة الغليظة باتفاق المسلمين ، بل يجب عند جمهور الأمة ، كمالك ، والشافعي ، وأحمد ، وغيرهم أن يستتاب وإلا قُتل » مجموع الفتاوى ج ٢٢ / ٤٠ ، ٥٠ اهـ .

(٢) الآية : ٦٦ من سورة التوبة .

(٣) الآية : ٦٥ من سورة التوبة .

(٤) الآية : ٩٣ من سورة المائدة .

(٥) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ، وهو خال عبد الله بن عمر جلده عمر بن الخطاب في الشراب . له صحبة ، روت عنه بنته عائشة : سمعت أبي يقول : ذلك الجرح والتعديل ج ٧ / ١٢٧ .

لحاطب بن أبي بلتعة [١] مما ذكره الله في سورة المائدة وهمَّ عمر بقتله ، لولا ما ذكره من العذر .

فما بالك بمن استحل الشرك ولو كان أصغر فإن استحلال المحرم القطعي كفر إجماعاً ، وكذلك حكم ابن مسعود في زمن عثمان بكفر الذين تكلموا في مسجد بني حنيفة في الكوفة بأن مسيلمة مصيب في دعواه ، وحكم عليّ رضي الله عنه بكفر الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه صفة الألوهية ثم حرقهم بالنار . فهذه سيرة الخلفاء الراشدين فيمن كان يقول لا إله إلا الله ثم صدر عنه ما ينافيها وينقض بنيانه فيها ، وإن كانوا ما بين معتذر ومتأوّل وتائب إنما الغرض التكفير وأن ذلك كفر وشرك وإن كانوا من قبل مسلمين .

وأما ما حصل بعد الخلفاء فمن ذلك حكمهم بقتل الجعد بن درهم [٢] وجهم ابن صفوان [٣] لتعطيل رب العالمين من الصفات التي نطقت بها الآيات ، ولقولهم : إن القرآن مخلوق وإن الأمر آنف . حتى صار أهل الكلام من فرق الضلال وأفتى الشافعي بتحريمه .

(أي : تحريم علم الكلام ، وهو علم الجدال) [٤] ، وأما اتباع الأئمة

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب اللخمي ، روى عنه علي بن أبي طالب كلامه في اعتذار عن مكاتبة قريش وفيه نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ / ١٦٨ .

(٢) هو : مؤدب بن محمد الجعدي آخر ملوك بني مروان وهو أول من قال ببدعة خلق القرآن ، وتعطيل الله عن صفاته ، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ هـ ، انظر كتاب عقائد السلف ص ١١٨ .

(٣) هو تلميذ الجعد بن درهم وإليه نسبت فرقة الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ، وهو الذي نفى أن يكون الله تعالى حياً عالماً ، قتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية . انظر كتاب الملل والنحل ج ١ / ٨٦ .

(٤) زيادة من (ي) وقد كتبت في الهامش وأثبتناها كما هي .

فأقاويلهم في ذلك كثيرة ، وأسلوب أهل كل مذهب أن يجعلوا باباً مستقلاً يسمونه باب الردة . وباب حكم المرتد ويفسرونه : المسلم الذي كفر بعد إسلامه ، ثم يسردون المكفرات ويطيلون فيها المقالات ومن أوسعهم في ذلك الحنفية ، وأما الحنابلة فحصرها بعضهم في أربعمائة مسألة كل واحدة تنقض الإسلام وتلحق فاعلها بعبدة الأصنام ، والشافعية والمالكية لهم في ذلك مباحث طويلة مثل ذلك ، ولابن حجر الهيثمي مؤلف سماه الإعلام بقواطع الإسلام وفي مؤلفه الزواجر نبذة من ذلك ، وفي مشارق الأنوار من كتب الشافعية باب طويل في ذلك ، ولابن المقري في مؤلفاته نحو ذلك ، وشراح المنهاج للنووي أوضحوا تلك الهوالك [1] .

ونقل الإمام ابن تيمية والشيخ ابن حجر الإجماع على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ، وبعض ما ذكروا في الردة في مسائل فرعية ليست من القواعد الإسلامية ولا من الستة الأصول الإيمانية : الإيمان بالله وملائكته ، فما ظنك بمسألة التوحيد لله سبحانه بالعبادة التي هي أصل

---

(١) قلت : والكلام في الردة والمرتدين ، عند الفقهاء كثر لا يتسع هنا ذكر مسائلهم فيه وفروعهم ، ولكني أورد نصاً مختصراً لابن قدامة المقدسي ، وهو الذي عليه الجمهور ؟ حيث قال :

« المرتد هو الذي كفر بعد إسلامه ، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفة من صفاته أو اتخذ لله صاحبة أو ولداً أو جحد نبياً أو كتاباً من كتب الله تعالى أو شيئاً منه ، أو سب الله تعالى أو رسوله كفر ، ومن جحد وجوب العبادات الخمس أو شيئاً منها ، أو أحل الزنا أو الخمر أو شيئاً من المحرمات الظاهرة المجمع عليها ، لجهل عرف ذلك ، وإن كان ممن لا يجهل ذلك كفر .. إلى قوله :

فمن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل ، دعي إليه ثلاثة أيام وضيق عليه ، فإن لم يتب قُتل ... إلى قوله :

ويقتل بالسيف ، ولا يقتله إلا الإمام أو نائبه » اهـ . المقنع ٣ / ٥١٥ وانظر الأم للشافعي ج ٦ / ١٤٥ والكافي لابن عبد البر المالكي مذهباً ص ١٠٨٩ والخراج لأبي يوسف ص ٧٣ وفي كتب السنّة أبواب كثيرة عن الردة والمرتد .

« أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »[1] فجعل الغاية التي ينتهي عندها القتال الثلاثة أمور المذكورة في الحديث لأن القول المجرد عن الاعتقاد والعمل غير مفيد ، وإلا فقد قال اليهود ذلك .

والمراد معناها لا مجرد لفظها ، وأن يقولوها عن قوله عليه الصلاة والسلام ملتزمين معناها النفي والإثبات . عاملين بمقتضاها ، غير فاعلين ما ينافيها من الشرك .

فإن قيل : فكيف إذا كانوا يأتون بالثلاثة المذكورة لكنهم يصرفون بعض العبادة إلى غير الله مثل الاعتقاد في المقبورين ونحو ذلك ؟

فالجواب : إن القصص المذكورة آنفاً فيمن جرى عليه القتل في زمن الخلفاء هو فيمن كان يفعل الثلاثة الأمور ويناقضها بما يوجب قتله .

فإن قيل هؤلاء لم يعلموا ذلك وأنه ينافي أحسن المسالك ؟:

فالجواب : إن المقرر إنما هو تكفير من بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة وأبى وعاند بعد العلم مصراً على شركه ، فمن حين ظهرت هذه الدعوة النجدية إلى توحيد الألوهية وجرت عليها السيوف فمن ردها وأباها فالكلام عليه واللوم متوجه إليه ، وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت ، والقرآن العظيم أكبر حجة على من بلغه .

والمسائل الواضحة التي يشترك في معرفتها الخاص والعام مثل توحيد الله بالعبادة ، وأنه لا شريك له فيها ، يدل عليها القرآن دلالة صريحة معقولة ،

---

(١) سبق تخريجه .

للتالي والسامع هداية العقل إلى ذلك ودلالته عليه وفهم الحجة غير بلوغها ، وللعلماء أقوال في هذا المجال ، وقد نص القرآن العظيم على ذم قوم يحسنون صنعاً [١] وأما الأموات فقد أفضوا إلى ما قدموا .

وقد ورد النهي عن إيذاء الأحياء بسبب الأموات ، وهذا فيمن عمله منهم عمل المشركين وفعله الكافرين ، وأما من يعلم صلاحه وتوحيده فذلك الناجي سواء تقدم أو تأخر ، ومن لا يعلم حاله أصلاً فيكف اللسان عنه جداً ، لأن تكفير المعين يحتاج إلى ثبوت إقامة الحجة عليه . وفي نجاة أهل الفترات مباحث واختلافات والشأن كل الشأن في حال أهل هذا الزمان ، وهذا أمر مستفيض وشيء مشهور (أعني) علم التوحيد وأنه فرض لازم وعلم الشرك . وأنه حرام محض ، ولكنها حصلت غلطات شنيعة ، وعادات فظيعة ، وأعمال كفرية وأقوال شركية ، وردت صريحة ، وأفعال قبيحة تتابع فيها كثيرٌ من الناس وقلد بعضهم بعضاً إلا قليلاً من (الأكياس) [٢] .

وكادت أن تنطمس آثار مباني الشريعة ، وتنهدم مشايد معانيها المنيعة ، وما أتي الناس إلا من قبل الديانات ، وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها .

---

(١) قلت : كأن المؤلف يعني ما ورد في تفسير قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ الكهف : ١٠٢ ، ١٠٣ ، فإن كان كذلك فأقول إن الآيتين وردتا في أهل حروراء من اليهود الذين هم أصحاب الصوامع وشاهده ما أخرج الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال : « هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع » ج ١٦ / ٣٣ .

وأخرج بسندين آخرين عن علي (رضي الله عنه) قال : « سأل عبد الله بن الكواء علياً عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم .. ﴾ الآية ، قال : « أنتم يا أهل حروراء » ، ج ١٦ / ٣٤ .

(٢) الأكْيَاس : جمع والمفرد كَيس : قال ابن الأثير : (الكَيس العقل ، ومنه الحديث : « أي المؤمنين أكيس » أي : أعقل) ج ٤ / ٢١٧ .

حتى بزغ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب [١] ، أسكنه الله جنة المآب ، فنور الظلام ، وجلى الله به القتام ، وبيّن سبيل السلام إلى بلوغ المرام ، وألف المؤلفات في توحيد الله بجميع العبادات ، مع إقامة الحجج القاطعة ، والإنصاف التام في المناظرة والمراجعة [٢] .

فعاد قارح الإسلام به جذعاً ، ورجع دارس الأحكام به منتجعاً ، وكان رحمه الله سنياً أثرياً متبعاً ، فأجاب دعوته ولباه وأولى غربته السعيد المسعود . محمد بن سعود [٣] على قلة من الأعوان ، وابتكاراً لهذا الشأن ، ثم وازره بجهوده وبطوقه ، وعاضده حتى استوى على سوقه ، الإمام عبد العزيز

(١) هو شيخ الإسلام المجدد الذي أعاد التوحيد في جزيرة العرب بعد أن كادت تنطمس معالمه ، بعد أن حل الشرك في مدن وقرى هذه البلاد المقدسة الطاهرة ، فعُبد الشجر ، واتخذ أصحاب القبور وسائط بين الله وبين خلقه ، ورفعت القبور ، وذبح ونذر لغير الله ، وكادت أن تنطمس شعائر الدين في أم القرى ومن حولها .

فأتى الله بهذا الشيخ الإمام المجدد المجاهد ، فدعى إلى الله على بصيرة وأخلص له النية ، فبلغت دعوته العراق والشام واليمن وعمان ثم نقلت إلى الهند ، وما النصر إلا من عند الله .

وكان الشيخ قد ولد في بلدة العيينة الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة الرياض بـ (ستين كيلو متراً)، سنة خمس عشرة ومائة وألف هجرية ، وبها نشأ وحفظ القرآن وما بلغ سنه العاشرة حتى علم مبادىء الفقه الحنبلي وبعض العلوم عن والده مفتي العيينة وقاضيها ، ثم سافر إلى الحجاز فأخذ العلم على علماء الحرمين ومنهم العالم السندي صاحب الحاشية على صحيح البخاري ثم رحل إلى البصرة فدرس الحديث والفقه هناك ثم عاد إلى بلدة حريملاء حيث كان والده قاضياً بها ، وكان يعكف على كتب ابن تيمية وابن القيم ، ثم خرج من حريملاء إلى العيينة وكان يدعو الناس إلى ترك ما هم عليه من الضلال ، فما أطاعوه ثم خرج منها إلى الدرعية حيث الإمام محمد بن سعود الذي رحب به وناصره ، وكان ذلك سنة (١١٥٨ هـ) .

(٢) لقد طبعت مؤلفات الشيخ المجدد كلها مراراً عدة ، ثم قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجمعتها في خمسة عشر مجلداً باسم (مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) . وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ (رحمه الله) .

(٣) هو الإمام المصلح ناصر العقيدة وأهلها ، ومؤسس الدولة السعودية الأولى : محمد بن سعود بن محمد =

ابن محمد بن سعود ، حتى أورى قبساً لقابس من أنوار التوحيد ، وأروى عطشاً لعاطش من شراب التجريد ، ثم ولي الخلافة على المسلمين فأحسن قراها بالهدى والتمكين ، الإمام السعود بن عبد العزيز[1] أيده الله ، فزاع جميع المسلمين بقرآنه وسلطانه ، وزعزع صقع المشركين بتوحيده وإيمانه ، في سياسة شرعية وسيرة عمرية ، وصارت جزيرة العرب بولايته عليها في سرور وطرب ، إمام ناصح لله ، فنصح له بلغة الله ما أم له وما أمله .

وهذه النسخة المجموعة ، والفوائد المسموعة ، قطرة من مطرة من سحائب الدعوة . ودرة من عجائب أولئك الصفوة . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

حرر بشهر شوال سنة ١٢٢٢ هـ .

الفقير إلى الله (محمد بن أحمد الحفظي) غفر الله لهما ..

= ابن مقرن ، الذي كان والياً للدرعية بلد آبائه والجدود سنة (١١٥٨) هـ ، فلما سمع بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، وعلم صدق دعوته وصحتها رحب به وأبرم معه ميثاق الدرعية ، وهو تحكيم شرع الله بين خلقه كما شرعه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ فتعاهد على المصحف بأن يخلصوا لله وينصرونه فنصرهم الله وبلغهم ما يصبون إليه ، فكان ما كان من أمر الدعوة وانتشارها ودام حكم محمد بن سعود من سنة ١١٥٨ هـ - ١١٧٩ هـ وفي هذه السنة كانت وفاته (رحمه الله) .

(١) هو : عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي خلف والده في الحكم فكان خير خلف لخير سلف وقف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونشر الدعوة بالسيف حتى كربلاء في شمال العراق ، ودام حكمه العادل من سنة ١١٧٩ - ١٢١٨ هـ ، حتى أن الناس كانوا يلقبون حكمه وسيرته بسيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وفي سنة ١٢١٨ هـ توفي (رحمه الله) بعد أن أصبحت الجزيرة العربية بلداً إسلامياً لا شرقياً ولا غربياً .

قلت : وقد فرغت من تحقيق وتخريج هذه الرسالة في صباح هذا اليوم الاثنين الرابع من شهر رجب من سنة خمس وأربعمائة وألف من الهجرة ، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، وصلى الله على نبينا ورسولنا وعلى آله وصحبه وسلم.

قاله الفقير إلى الله

عمر بن غرامة العمروي

الخاتمة

وأخيراً فإن كتب التوحيد لها أهمية بالغة ، فبما فيها من أدلة نقلية وعقلية ، يستطيع الإنسان معرفة حق الله على العباد ، وحق العباد على الله ، وما يجب على العبد ، من محبة لله تعالى ، وتعظيم ، وخشية ، وإنابة إليه ، وطاعة له بفعل ما يحبه الله ، وترك ما يكرهه الله ، وحب رسول الله ﷺ ، وتعظيمه ، وطاعته ، والائتساء به ، ومتابعته ، والاستقامة على شريعة الله ، فذلك الإيمان بالله تعالى . وصدق وعده ، ووعيده .

فلولا ذلك ما تمت الاستقامة ، ولا تم الإيمان لأحد من عباد الله ، فالإيمان بالله تعالى ، وسيلة لطلب معرفته بأسمائه ، وصفاته ، وحبه ، وتعظيمه ، وطاعته ، وخشيته ، والتقرب إليه بفعل ما يحبه ، واجتناب محارمه .

ولا يكون العبد مؤمناً بالله محباً له حتى تكون عقيدته :

١ ـ أن الله هو الخالق ، الرازق ، المربي له ، ولجميع العالمين بنعمته .

٢ ـ يعتقد أن القرآن كلام الله منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده محمد ﷺ .

٣ ـ أن يعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ ، مما يكون بعد الموت ، من فتنة القبر ، ونعيمه ، وإعادة الأرواح إلى الأجساد ، وقيام الناس لرب العالمين ، ونصب الموازين ؛ لتوزن بها أعمال العباد .

٤ ـ الإيمان بالحوض ، وما فيه من النعيم ، والصراط المنصوب على جهنم ، والشفاعة منه ﷺ بعد إذن ربه ، والإيمان بالجنة ونعيمها ، وبالنار وجحيمها .

٥ ـ الاعتقاد والإيمان قولاً باللسان ، وعملاً بالأركان ، واعتقاداً بالجنان ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وأن الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها

لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وهذه الرسالة تتضمن ثمانٍ قواعد في العقيدة ، والإيمان بالله ، حررها مؤلفها لأهل جهته ، وللناس أجمعين ، وقد قمنا بتحقيقها حسب الاستطاعة ، وبذلنا من الجهد ، ما نسأل الله تبارك وتعالى ، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا ﴿ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ .

* * *

فهرس المراجع

مسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر ومكانه
	التفسير		
١ ـ	القرآن العظيم	كلام الله	
٢ ـ	أضواء البيان	محمد الشنقيطي	ط الأمير أحمد بن عبد العزيز بالرياض
٣ ـ	البحر المحيط	لأبي حيان	ط دار النصر الحديثة بالرياض
٤ ـ	بصائر ذو التمييز	للفيروز آبادي	ط المكتبة العالمية ـ بيروت
٥ ـ	تفسير أبو السعود	لأبي السعود بن العماد	ط مكتبة الرياض الحديثة
٦ ـ	تفسير القرآن العظيم	لابن كثير	ط التجارية الكبرى بالقاهرة
٧ ـ	جامع البيان	للطبري	ط البابي الحلبي ـ مصر
٨ ـ	الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	ط دار الكتب الوطنية ـ مصر
٩ ـ	فتح القدير	للشوكاني	ط البابي الحلبي ـ مصر
١٠ ـ	في ظلال القرآن	سيد قطب	ط البابي الحلبي ـ مصر
١١ ـ	الكشاف	للزمخشري	ط البابي الحلبي ـ مصر
١٢ ـ	معالم التنزيل	للبغوي	ط المنار ـ مصر
١٣ ـ	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	عبد الباقي	ط دار الكتب الوطنية ـ مصر
١٤ ـ	مفاتيح الغيب	للرازي	ط الهيئة المصرية
١٥ ـ	المفردات	للراغب	ط البابي الحلبي ـ مصر
١٦ ـ	نظم الدرر	للبقاعي	ط دائرة المعارف ـ بالهند

كتب السنة

١٧ ـ	جامع الأصول	لابن الأثير	ط دار البيان والملاح ـ سوريا
١٨ ـ	سنن أبي داود	لأبي داود	ط محمد السيد بحلب ـ سوريا
١٩ ـ	سنن الترمذي	أبو عيسى الترمذي	ط البابي الحلبي ـ مصر
٢٠ ـ	سنن الدارمي	عبد الله الدارمي	ط عبد الله هاشم المدينة المنورة
٢١ ـ	سنن الدار قطني	للإمام الدار قطني	ط عبد الله هاشم المدينة المنورة
٢٢ ـ	سنن البيهقي الكبرى	للإمام البيهقي	ط دار الفكر العربي ـ بيروت
٢٣ ـ	سنن ابن ماجه	للحافظ ابن ماجه	ط السلفية ـ بالقاهرة
٢٤ ـ	صحيح البخاري / فتح الباري	للإمام محمد البخاري	ط السلفية بالمدينة المنورة
٢٥ ـ	صحيح الجامع الصغير	للألباني	ط المكتب الإسلامي
٢٦ ـ	صحيح مسلم ـ النووي	للإمام مسلم	ط المطبعة المصرية ـ مصر
٢٧ ـ	ضعيف الجامع الصغير	للألباني	ط المكتب الإسلامي
٢٨ ـ	كشف الخفاء ومزيل الإلباس		
٢٩ ـ	مستدرك الحاكم	للحاكم النيسابوري	ط مكتب المطبوعات الإسلامية
٣٠ ـ	مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل	ط المكتب الإسلامي ـ بالرياض
٣١ ـ	مسند أبو داود	أبو داود الطيالسي	ط دار الكتاب اللبناني

٣٢ - مسند أبو يعلى — أبو يعلى الموصلي — ط دار المأمون

٣٣ - معجم الطبراني الكبير — للحافظ الطبراني — ط العراق

٣٤ - معجم الطبراني الصغير — للحافظ الطبراني — ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

٣٥ - معجم ألفاظ الحديث — المستشرق

٣٦ - موطأ مالك — للإمام مالك بن أنس — ط المشهد الحسيني - مصر

٣٧ - نصب الراية — للزيلعي — ط المكتب الإسلامي

كتب الفقه

٣٨ - الأم للشافعي — محمد بن إدريس الشافعي — ط دار الشعب - مصر

٣٩ - الخراج لأبي يوسف — أبو يوسف — ط السلفية - بالقاهرة

٤٠ - الدرر الحكام — ط مطبعة أحمد كامل - مصر

٤١ - كشف الحقائق — ط المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٨

٤٢ - الكافي لابن عبد البر — ابن عبد البر النمري القرطبي — ط مكتبة الرياض الحديثة

٤٣ - المبسوط — للسرخسي — ط دار السعادة ١٣٢٤

٤٤ - مجموع فتاوى ابن تيمية — أحمد بن تيمية — ط رئاسة البحوث والإفتاء السعودية

٤٥ - المحلى لابن حزم — ابن حزم الظاهري — ط مكتبة الجمهورية - مصر

٤٦ - المقنع لابن قدامة — ابن قدامة المقدسي — ط المعارف بالطائف

٤٧ - نيل الأوطار — للشوكاني — ط مكتبة الكليات الأزهرية

كتب العقيدة

	الكتاب	المؤلف	الطبعة
٤٨ ـ	اقتضاء الصراط المستقيم	شيخ الإسلام ابن تيمية	ط السنّة المحمدية ـ بالقاهرة
٤٩ ـ	الإيمان	شيخ الإسلام ابن تيمية	ط أنصار السنّة ـ بالقاهرة
٥٠ ـ	التوصل إلى حقيقة التوسل		ط دار لبنان ـ بيروت
٥١ ـ	خلق أفعال العباد	للإمام البخاري	ط دار المعارف السعودية
٥٢ ـ	دعوة الرسل	للعداوي	ط البابي الحلبي ـ مصر
٥٣ ـ	شرح الطحاوية	بتحقيق أحمد شاكر	ط مكتبة الرياض الحديثة
٥٤ ـ	عقائد السلف	للبخاري	ط منشأة المعارف بالإسكندرية
٥٥ ـ	عقيدة المؤمن	أبو بكر الجزائري	ط مكتبة الكليات الأزهرية
٥٦ ـ	مجموع مؤلفات المجدد	شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب	ط جامعة الإمام محمد بن سعود

التاريخ والتراجم والسير

	الكتاب	المؤلف	الطبعة
٥٧ ـ	البداية والنهاية	ابن كثير	ط مكتبة النصر بالرياض
٥٨ ـ	تاريخ بغداد	للخطيب البغدادي	ط دار الكتاب العربي ـ بيروت

٥٩ - الحلية لأبي نعيم — لأبي نعيم الأصفهاني — ط دار الكتاب العربي - بيروت

٦٠ - زاد المعاد — لابن القيم — ط البابي الحلبي - مصر

٦١ - السيرة النبوية — لابن هشام — ط عيسى الحلبي - القاهرة

٦٢ - الإصابة في تمييز الصحابة — لابن حجر — ط مكتبة الكليات الأزهرية

كتب اللغة

٦٣ - أساس البلاغة — للزمخشري — ط دار صادر اللبنانية

٦٤ - الصحاح — للرازي — ط مكتبة الحرمين بالرياض

٦٥ - القاموس المحيط — الفيروز آبادي — ط البابي الحلبي - مصر

٦٦ - لسان العرب — لابن منظور — ط اللسان العربي - بيروت

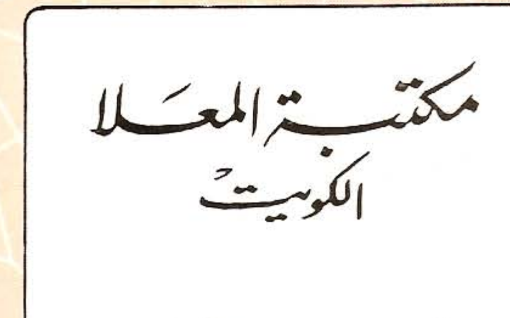
٦٧ - المصباح المنير — للفيومي — ط الأميرية - بالقاهرة

٦٨ - معجم مقاييس اللغة — ابن فارس — ط البابي الحلبي - القاهرة

٦٩ - النهاية لابن الأثير — لابن الأثير — ط دار الفكر - بيروت

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



مطبعة الفيصل
ت : ٢٤٤٦٨٤٧ ـ ٢٤٤٦٨٣٨